السُّرَى

إِلَى لَامِيَّةِ الشَّنْفَرَى

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولى
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١م

9 789959 858825

ISBN: 978-9959-858-82-5

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم
بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

السُّرى

إلى لاميةِ الشَّنفرى

أ.د. عبدالعزيز بن علي الحربي

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي اللامية

الذي أراه أن بعض هذه القصيدة للشَّنفرى، وبعضها مزيد، وبعض الحكم والقيم لا يستقيم مع الصعْلكة والنهب.

وقد حرصت في الشرح على الاستشهاد بآي الكتاب العزيز، لربط الدارس بالقرآن، وتعليقه به، وترغيبه؛ ولأنه الحجة البالغة، وكما قيل[1]:

الكتاب العزيز نعمَ الكتابُ من به احتجَّ ما عليه عتابُ

وإذا قلت: مترادف، فأعني تقارب المعنى بين اللفظين أو الألفاظ.

وأما الترادف المطابق فلا أراه.

---

(١) القائل: محمد بن حنبل الحسني الشنقيطي، عالم، نظّام (ت: ١٣٠٣هـ)

ترجمة الشنفرى

الشَّنْفَرَى: شاعرٌ، لصٌّ، جاهليٌّ، أحد الصعاليك المشاهير، وكان سيِّدُهم عروةَ بن الورد، يجمعهم، ويرزقهم من رزقه.

وكان الشَّنفرَى من العدَّائين، يقال: كانت القفزة الواحدة منه تعدِل عشرين خطوة.

وفي المثل: أعدى من الشنفرى!

واختُلف في اسمه، فقيل:

عمرو بن براق.

أو: عمرو بن مالك.

أو: ثابت بن أوس.

أو: ثابت بن أواس.

أو: شُمس بن مالك.

أو: الشنفرى اسمه، ومعناه: (غليظ الشفتين).

أو: ثابت بن جابر، وهو خطأ.

ولا تعرف ولادته.. وهو من الأزد.

بنو سلامان هم الذين قتلوه؛ لأنه كان قد قتل منهم تسعة وتسعين، ونذر أن يتمِّم المئة.

وقد رثاه خاله تأبَّط شرًّا.

وفي الأعلام للزركلي أنَّ تأبَّط شرًّا توفي سنة (٧٠) قبل الهجرة.

وابن الأعرابي يعدّه من الإسلاميين.

ويرجِّح طائفة من الباحثين أنَّ هذه اللامية ليست للشَّنفرى:

- لأن ابن دريد -وهو هو- نسبها إلى الأحمر، وكان قريبَ العهد به، وكان ابن دريد ذا معرفة بأعمال المدرسة البصرية.
- ولأن أبا الفرج الأصفهاني أغفلها كلها، ولم يشر إليها أصلًا.

- ثم إن شعر الصعاليك في الغالب مقطوعات ذات أبيات معدودة، وهذه القصيدة تقارب سبعين بيتًا.

- ومن المستشرقين من شكَّك فيها؛ لأنها تفتقر إلى أسماء المواضع والأعلام وهو ملحظٌ دقيقٌ[١].

- وزعم بعضهم أنه لم يرد شيءٌ من أبياتها في "لسان العرب".

والحق أن في "لسان العرب" أبياتًا منها، منسوبة إليه، وغير منسوبة، ومنها:

وَلا جُبَّأٍ أَكهى مُرِبٍّ بِعِرسِهِ
يُطالِعُها في شَأنِهِ كَيفَ يَفعَلُ

ومنها:

أوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ
مَحَابِيضُ أرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

---

(١) لحظه المستشرق كرنكو (krenkow)، ولم يرد في قصيدته من المواضع سوى «الغميصاء» كما في البيت.

وقال آخرون: بل هي له، وذكروا أدلَّة، منها:

- كثرة من نسبها إليه من العلماء.

ولكن الكثرة ليست بدليل.

- ما ورد فيها من تصوير البيئة الصحراء، ووحوشها، وقلة مائها.

وقد يردُّ عليه بأنها إن كانت موضوعة لم يعجز الواضع أن يجعلها بهذا التصوير.

- ما فيها من صدق العاطفة، ودقة التصوير.

- ما ورد فيها من مشابهة لأشعار الجاهليين في بعض أبياتها، من إبدال "مفاعلن" إلى "مفاعيلن".

وكل هذا لا يعجز أن يتعمَّده الواضع إذا أراد التدليس.

والذي تبيَّن لي بعد النظر والبحث:

أنَّ "لامية العرب" منها ما هو للشنفرى، وهو القليل، ومنها منحول، وهو الكثير.

ودليل ذلك ما ذكرته من أدلّة الشك، وأضيف إليها دلائل:

- التناقض الواضح في معاني القصيدة، ومضامينها، فتارة تشهد الأبيات على نبل ذلك الصعلوك، وكريم خلقه، وطيب أصله، وتارة تشهد على أنه لصٌّ، لا يقيم للأخلاق وزنًا.
- ما فيها من تكلُّف في الإغراب، في البيت الواحد، كقوله:

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي
سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفكَلُ

- من قارن القصيدة بسائر شعره وجد اختلافًا في الأسلوب والتركيب، واختيار اللفظ، يدفعه إلى القول بأن هذه القصائد لشاعرين اثنين.

وأما العناية الكثيرة بها فلما اشتملت عليه من ألفاظ غريبة، ووصف دقيق للصحراء، وبيان أحوال غريبة، وبعض مكارم الأخلاق، بل رُوي فيها حديث مرفوع، ولكنه موضوع "علِّموا أولادكم لامية العرب؛ فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق"، وحاشا من لا ينطق عن الهوى أن يقول هذا، ويحثَّ على أشعار النهب والغارات، وترميل النساء، وتيتيم الولدان،

وأكل الأموال، وترويع الآمنين، والتشبُّه بالوحوش الضارية، وتفضيلها على البشر.

نعم، فيها من المعاني النبيلة، ومكارم الأخلاق شيء من ذلك، كالتصبُّر، والسياحة في الأرض، والشجاعة، وبعض معاني الرجولة، والصبر على الجوع والعطش، واطِّراح الجزعِ حين القلة، والبَطَرِ حين الغنى، والحلم على الجاهلين، وبعض معاني القناعة، والأدب في الأكل.

ولكن هذه الأخلاق يقابلها أخلاق مذمومة؛ تجمعها اللصوصية والصعلكة وما يسبقها من مقدمات، وما يلحقها من تبعات، وما ينتج عنها من موبقات.

وأيًّا ما كان، فقد بلغت القصيدة الآفاق، وشاعت وذاعت، وعُني العلماء بها، وتصدَّرت عيون الشعر، وتصدَّرت اللاميَّات، وزاحمت المعلقات، واعتُني بها شرحًا، وحفظًا، وإعرابًا، ومعارضةً، وترجمة.

ومن أعجب ما ترى وتسمع، كثرة المعتنين بها من المستشرقين.

اعتنوا بها دراسة، ونقدا، وترجمة، وتحقيقا[1]

وأنا ممن اعتنى بها منذ أيام الطلب الأولى، ثم عارضتها عند كتابة هذا الشرح بقصيدة مطوّلة، سأنشرها - بعون الله - في الديوان.

---

(١) منهم: جيمس هاوس الإنجليزي، وفايل، ونولدكه، وجارتن، وهافر، ورُوس، وروكهارت، وكل هؤلاء من الألمان، ومن فرنسا: البارون ساس، وفرنيل، وغيرهم، وقد بسط ذلك: عفيف عبد الرحمن في كتاب «الأدب الجاهلي».

شـــرح الأبيـــات

قال الشنفرى:

١ - أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكم
فَإنِّي إلى قَومٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ

الشرح:

يقال للراكب على مطيّةٍ فَقَامَ: أَقِمْ صدر مطيتك، حتى لا تضلَّ به.

ومعنى البيت: تنبّهوا من غفلتكم، يا بني أمّي، فإني مفارقكم إلى غيركم.

وأصل أقيموا "أقْوِموا"، والقاعدة تقول: إذا كان حرف اللين متحركًا، وسبقه ساكن صحيح، تُنقل حركة حرف اللين إلى الساكن قبلها.

"بني أمِّي" أي: يا بني أمِّي، وكانت أمُّه من فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن نضر بن نزار بن معدٍّ بن عدنان.

وقبيلته معروفة، ينتسب إليها من العلماء: الليث بن سعد، ومن الشعراء: تأبَّط شرًّا، وكانت مساكنهم شمال الطائف، ثم جنوب مكة عند يلملم، وهاجر فروع منهم إلى مصر، والشمال الأفريقي.

وكان الشنفرى نازلًا عند أخواله، فعيَّره قوم أبيه -وكانوا من الأزد- بنزوله في فهم.

والمطيُّ، مفردها: مطيَّة، سميت بذلك؛ لأن الراكب يكون على مطاها، أي: ظهرها.

وقيل: سميت بذلك؛ لأنها تمطو في البرِّ وتمتدُّ.

والقوم: أكثر ما يطلق على الرجال. دلَّ عليه قول زهير:

وما أدري ولستُ إخالُ أدري أقــومٌ آل حصــنٍ أم نســاءُ

ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال قوم: يطلق على الرجال والنساء، وما جاء في الآية هو من باب عطف الخاص على العام.

وأما البيت فقد جاء على لغة الأكثر.

والظاهر: أنه خاصٌّ بالرجال ولكن يدخل النساء فيه بالتبع، كما يدخل الصبيان في مسمّى الرجال.

وليس له مفردٌ من لفظه.

و"سوى" للاستثناء، وهو بكسر السين وضمِّها، وبالمدِّ (سَواء) ولا يكون ما بعدها إلا مجرورًا.

و"أميل" اسم تفضيل، أي: لأميَل إلى سواكم من ميلي إليكم.

٢- فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيلُ مُقْمِرٌ
وشُــدَّتْ لِطِيَّـاتٍ مَطَايَـا وَأَرْحُــلُ

الشــــرح:

يقول: فقد اقتربت الحاجات في ليل مقمر، واستُعدَّ لها.

والفاء عاطفة.

و"قد" للتحقيق مع الماضي، وللتقليل مع المضارع، وتأتي مع المضارع للتكثير أو التحقيق، نحو: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤].

ومعنى "حُمَّت" دنت وقُدِّرت.

و"الحاجات" مفردها: حاجة، وتجمع أيضًا على حاجٍ. وأما جمعها على حوائج؛ فمولَّد.

أظنُّ أن الذي جمعه هذا الجمع توهَّم أن مفرده حائجة.

و"أقمر الليل" أضاء.

ومادة (قَمَرَ) تدل على بياض في شيء كما يقول ابن فارس، قال: والقِمار شاذٌّ عن هذا الأصل، أو هو منه؛ لأن المقامر يزيد ماله، ولا يبقى على حال.

ولم يظهر لي هذا المعنى، ولو قيل: سمِّي القمار قمارًا لما يبدو على وجه أحد المقامرين من السرور لكان أظهر.

ومعنى "شُدَّت": أوثقت، يقال: شدَّه يشُدُّه ويشِدُّه.

ومن الألفاظ المقاربة لمعناها: أحكَم، وعقد، وربط، وحبَك.

والطِّيَّة، بكسر الطاء: النيَّة، أو الحاجة، أو المقصد الذي يريد المرء التوجه إليه.

وتقدَّم الكلام عن المطايا في البيت الذي قبله.

والأرحل: جمع رحل، وهو ما يُجعل على ظهر الراحلة ليُركب عليه. ويجمع على رحال، كما في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ [يوسف: ٦٢].

وهذا جمع كثرة، وما جاء في البيت جمع قلة.

وقلتُ فيما هبَّ ودبَّ:

الرَّحل والرَّاحولُ للبُعرانِ   وضاعَ مني الشَّطر يا إخوانِ[1]

والغبيط، والحَرَج، والقاتِر، والحَوبة، والكِفْل، والكُور، والقَتَبُ، كلُّها في معنى الرَّحل.

(١) نظم «ما هب ودب» نظم مرتجل لكل ما يخطر بالبال، وقد نسيت عجز البيت هنا فأتممته بما ترى.

٣- وَفِي الأَرْضِ مَنْأًى للكَرِيمِ عَنِ الأذَى
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

الشرح:

يقول: أرض الله واسعة، وفيها منأى - أي مكان للبعد - لمن أكرم نفسه، وفيها موضع للعزلة لمن خاف بغض الناس.

وفي البيت حكمة وإشارة نُصح، يؤيدها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

وجمع الأرض: الأرَضون، وهو جمع ملحق بالجمع السالم، وإنما كان ملحقًا؛ لأنه لم يسلم من التكسير، وهي مؤنثة أيضًا، وشرط جمع السالم المذكر أن تسلم حروفه، وأن يكون مذكرًا عاقلًا.

وربما جمعت جمع تكسير على أراضٍ، كأهْلٍ وأهالٍ، وربما قالوا: أراضي.

والأرض، والبسيطة، والساهرة، والغبراء، بمعنى.

والمنأى: اسم مكان من نأى، بمعنى بعد.

والكرم يوصف به الجواد السخي، ومن كرَّم نفسه، وكرَّم الخلق، ويقال للشيء النفيس: كريم، ولو كان جمادًا، نحو: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وقرئ شذوذًا بالرَّفع، على القطع، أي: هو الكريم، ويحتمل أن يكون نعتًا لـ "رب العرش".

والأذى: ما يضرُّ الإنسان، وقد يؤذيك ما لا يؤذي غيرك، فمن تأذى بشيء كان ذلك أذًى له، وإن لم يؤذِ غيره، كالذي يتأذى بالصوت العالي ولو كان حسنًا، أو يتأذى بالروائح الطيبة؛ لعلةٍ فيه.

والخوف: شعور بضرر في المستقبل، والحزن على شيء مضى.

والفرق بين الخوف والخشية، أن الخشية خوف مع تعظيم.

والقِلى: البغض، وفي الكتاب العزيز: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضُّحى: ٣].

يقال: قليتُه، وقلوتُه، قِلًى.

وروي فيه: قَلَى يَقْلَى، على وزن: فتح يفتح، وليس في كلام العرب مضارع على وزن يَفْعَل، مما كان ماضيه (فَعَل) وليس فيه حرف من حروف الحلق إلا أفعال معدودة، منها: (قلَى يقلَى، وأبَى يأْبَى، وركَن يركَن، وسَلى يسلَى).

والمتعزَّل، بفتح الزاي: الموضع الذي يُعتزل فيه، وإعرابه مبتدأ مؤخر، وخبره مقدم "فيها".

وكذلك "منأى" مبتدأ مؤخر.

٤- لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ
سَرَى رَاغبًا أَو رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ

الشرح:

يقول: ليس في الأرض الواسعة - حين يسري فيها - مكان يضيق بالمرء العاقل في رغبته، كمن يسير إلى امرأة يتزوجها، أو مال يحصله، أو ذي جاه ومال يمدحه، أو كان خائفًا من عقوبة أو عدوٍّ.

والعَمْر: لغة في العُمُر، والمستعمل في القسم هو المفتوح، وفي الكتاب العزيز: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، وليس في القرآن غيره.

وهو مبتدأ، وخبره واجب الحذف، وهو ما أشار إليه في الخلاصة بقوله:

وبعد لولا غالبًا حذف الخبرْ حتمٌ، وفي نصِّ يمينٍ ذا استقرْ

اللام في "لعمرك" للابتداء.

وجاء هذا اللفظ كثيرًا في كلام العرب.

والضِّيق، والضَّيق: ضدُّ السعة، وبالوجهين قرئ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقرئ شذوذًا: "ضيِّقٍ".

والمرء: الرجل، وميمه مثلثة، يثنى ولا يجمع، ويصغَّر على مُرَيْء، ويقال: إن المروءة اشتقّت منه.

والسُّرى[1] يكون بالليل، يقال: سرى، وأسرى، وزعم بعضهم أن (أسرى) في النهار.

والرغبة معروفة، وكذلك الرهبة، والفرق بينهما وبين الخوف، أن الخوف: توقّع حصول الضرر، وأما الرهبة: فهي توقع حصول الضرر لسبب معين.

و"يعقل" من العقل، وحدّ العقل: التمييز، واختلف في محلّه، والحق أن محلّه القلب، وله اتصال بالمخ، كاتصال المصباح بالتيار الكهربائي.

---

(١) وبه سميت كتابي هذا، وقد لمحت فيه مع الجمع أمورا، منها: موافقة ما عليه الشاعر من سير بالليل، ومنها: ورود هذه اللفظة في الكتاب، وبالمشتق منها، وهو الفعل في القصيدة، ومنها: الترغيب في السهر على طلب العلم.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٦]، نصٌّ في المسألة، وإن اختلف العلماء في ذلك.

ومن أحسن الموافقات أن هذه الآية - وإن كنا نستدل بها على موضع العقل - هي في معنى قريب من معنى البيت.

٥- وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

الشرح:

هذا كقول الآخر:

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى وصوَّت إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

ومعنى البيت واضح، يذكر أنه استأنس بأهلين آخرين من دون قومه، وهم وحوش البراري.

ولفظ "دون" يأتي بمعنى: غير، وقبل، وأقلّ.

وكلها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧]، أي: قبل عذاب يوم القيامة، وهو عذاب القبر، أو أقلّ منه، أو غيره.

والسِّيْد: الذئب، وجمعه سِيْدان، وهذيل يطلقون على الأسد.

والعمَلَّس: القويُّ على السير، وقيل: الخفيف.

ومن أسماء الذئب: سِرْحان، ونهشل، وأوس، وأُويس، والخاطف، ويكنى أبا جعدة.

والعرب تشبه الرجل الذكيَّ القويَّ بالذئب أكثر من التشبيه بالأسد في هذا المعنى، فإذا أرادوا القوة والشجاعة شبهوه بالأسد، ويزعمون أيضًا أنه ينام بعين ويبقى يقظانًا بعين، وهو زعم، بل وهم، نعم، يمكن أن يغمض عينًا ويفتح عينًا، لكن لا يمكن أن يكون نائمًا يقظانًا، كما زعم الشاعر حين قال:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائمُ

ويقال للذئب: كلب البرِّ.

والذئبة: الأنثى.

ويقال في اللغة: ذَؤُبَ فلان وذَئب، أي: خبُث، وصار كالذئب، وكذلك تذَأَّبَ.

وذُئِب كعني: فزع.

ويمدح الذئب بأنه لا يأكل الجيفة، وأنه قريب الفكر من الإنسان، وهو أيضًا أشدُّ أعدائه، ويصبر على الجوع.

ويقال: إن مرض الذئبة الحمراء سمي بذلك بسبب عضة كانت من أحد الذئاب.

والذئاب من الحيوانات التي تعرف أولادها، وذكورها لا تعدِّد، بل يكتفي الذئب بواحدة، ويبقى وفيًّا لها ولأجرائه، وأبويه. لهذا يلقب الذئب بالابن البار.

وأما النمر: فحيوان شرس، قويُّ البصر، قوي الصوت، كثير النوم، ماهر بالسباحة، والأنثى نَمِرة، ويجمع النمر على أنمار، ونـمُور، ونُمُر، ونِمار، ويقال: فلان متنمِّرٌ: إذا تشبَّه بالنَّمِر في الاعتداء والشراسة.

وأما الضبع: فحيوان جبان، والجمع ضِباع، من الحيوانات الليلية، وفيه شبه في شكله من الذئب، لكنه إذا جرى كأنه أعرج، ولذا يسمى العرجاء، والضبع مؤنثة، والجمع أضْبُع، وضِبَاع، وضُبُع. والذكر: الضِّبْعان. ويقال للأنثى أيضًا: الضبُعَة، والضِّبْعانة. والفُرعل: ولد الضبع، وسيأتي في القصيدة.

والأرقط: النَّمِر، سمِّي بذلك للنقط البيضاء التي تكون فيه، والرقطة سواد فيه نقط بيض، ويقال: دجاجة رقطاء.

والزُّهلول: الخفيف، والأملس، وجمعه: زهاليل.

ومن أسماء النمر: السَّبَنْتى، والسَّبَنْدى، والختعة. وكنيته: أبو الأسود، وأبو الصَّعب.

والعَرْفاء: الضَّبُع؛ لكثرة شعرها.

وجيأل: من أسماء الضَّبُع أيضًا، وهو بدلٌ من "عرفاء"، ومن أسمائها: العرجاء، والعثواء، والجامعة، وجَعارِ.

وهذا مستأنس الصَّعاليك، ولكلٍّ وجهته، ومشربه ورغبته، ومؤنس طالب العلم كتب العلم ومسائله، فهي التي يأنس بها ويسرُّ، وهي التي يجد فيها سلوته من دون الناس.

ولقد أحسن من قال في مجالسة كتب العلم:

لنا جُلَساءُ ما نمَلُّ حديثَهم ... ألبَّاءُ مأمونون غيبًا وَمشْهدا
يُفيدوننا من علمهم علمَ ما مضى ... وعقلًا وتأديبًا ورأيًا مُسدَّدا
بِلا فتنةٍ تُخشى ولا سوء عِشْرةٍ ... ولا نتَّقي منهم لسانًا ولا يدا
فإن قلتَ: أمواتٌ فما أنت كاذبٌ ... وإن قلتَ: أحياءٌ فلستَ مُفَنَّدا

والعابد الناسك أنسه في خلوته، وتعبُّده وتألُّهه، والعالم والعابد لذاذتهما عقلية وروحية، وهاتان اللذّتان لا يزيدان صاحبهما إذا ذاقهما إلا رغبةً وتعلقًا ودأبًا.

٦- هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيهِمْ وَلا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخذَلُ

الشرح:

يقول عن الذئب والنمر والضَّبُع: هم الأهل الحقيقيُّون الذين لا ألقى منهم أذًى نفسيًّا، فليس فيهم نمَّام سبَّاب، ولا من يعاقب على جناية.

و"لا" هي النافية للجنس، وما بعدها حكمه النصب إذا كان مضافًا أو شبيهًا بالمضاف.

والبناء على الفتح إذا كان غير ذلك، ولا يكون اسمها إلا نكرة.

وإذا تكررت جاز في الأول البناء على الفتح، إذا كان غير مضاف، والنصب إذا كان مضافًا، ويجوز الرفع أيضًا.

وفي الثاني يجوز الرفع مع الرفع، والنصب مع الفتح أو النصب، والفتح مع الفتح، ولا يجوز النصب مع رفع الأول.

وفي ألفية ابن مالك:

وركّب المفرد فاتحًا كَلَا حولَ ولا قُوَّةَ، والثانِ اجعلا
مرفوعًا، او منصوبًا، او مركّبًا وإن رفعتَ أولًا لا تنصِبا

وهذه الأحكام لا تنطبق على ما نحن به؛ لأنها دخلت هنا على معرفة.

ويقال لـ "لا": لا التبرئة، أيضًا.

والمستودع: مكان الوديعة.

والسرُّ: ما يكتمه الإنسان ولا يريد البَوحَ به.

والذائع: المنتشر، ومنه سمِّي المذياع.

والشائع: المنتشر.

ويظهر لي أن الفرق بينهما، أن الذائع للبعيد، والشائع المنتشر للقريب وغيره.

ولدى: مثل "عند"، وفيها لغات.

والجاني: من فعل جناية.

ومعنى "بما جرّ" أي: ما جرَّه من السِّرِّ على نفسه أو على غيره.

والخذلان، أصله: تخلُّف الظبي عن القطيع.

وسمِّي الخاذِل بذلك لتخلّفه عن النصرة.

وقد بلغ الشنفرى من استئناسه بهذه الوحوش إلى درجة منحطة، جعلته يوصي بأن يكون إذا مات نهبًا لها.

فقال:

ولا تقـبروني إن قـبري محـرَّمُ ... عليكم ولكن أبشري أمَّ عامرِ[1]

وكانوا يرون أن هذا شجاعة، ولكنّ الإسلامَ حفظ للآدمي حقَّه، وأمر بتكفينه ودفنه.

---

(١) أم عامر: كنية الضبُع.

٧- وكُـلٌّ أَبِـيٌّ بَاسِـلٌ غَيـرَ أَنَّنِـي
إذا عرَضَـتْ أُولَـى الطَّرَائِـدِ أَبْسَـلُ

الشرح:

يقول: كلٌّ من الذئب والنمر والضبع قويٌّ شجاع، غير أني حين يعرض صيدٌ أكون أقوى وأشجع وأسرع.

ولفظ "كل" من ألفاظ العموم، ولا تدخله - على الأفصح - الْ. ومثلها بعض وغير.

والأبيُّ: الذي يأبى الضيم والذلَّة.

والباسل: الشجاع القوي، وأصله: الكريه المنظر.

قيل: أخذ من البسْل، وهو الحرام، ويجمع على بُسُل.

ومعنى قوله تعالى: ﴿أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الأنعام: ٧٠]، حبسوا، أو افتضحوا، أو جُوزوا، أو أُسلموا.

ويقال في اللغة: فلان شجاع، باسل، أروع، سَلْفَع، أبيٌّ، أحمس، مُهَجْهِج، بطل، صنديد، أيْهَم، إصليت، وصِنتيت.

و"غير" أداة استثناء، ونصب هنا؛ لأن الاستثناء منقطع.

وحكى الفراء عن بعض بني أسد وقضاعة أنهم ينصبون كلمة "غير" مطلقًا، إذا كانت بمعنى "إلا" فيقولون: ما جاءني غيرَك، وما جاءني أحدٌ غيرَك.

ومعنى "عرضت" ظهرت للعين، أي: بدا عَرضها.

والطرائد، مفردها: طريدة، ويقال لها: النقيذة: التي تُطرد.

و"أبسَل" أفعل تفضيل، أي: أشجع وأقوى.

٨- وإنْ مُدَّت الأَيدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
بِأَعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَعُ القَومِ أَعْجَلُ

الشرح:

هذا البيت من حكم الشعر المنتشرة، وإنَّ من الشعر لحكمة، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم.

يقول: إنه لا يعجل ولا يسابق بمدّ يده إلى الطعام إذا وُضع الزاد بين أيدي القوم؛ لأن ذلك من الجشع والشره.

و"إن" تفيد احتمال الوقوع، وتجزم فعلين، و"إذا" لا تجزم الفعل، ولكنها تجزم في المعنى، أي: تفيد تحقق الوقوع.

والمدُّ والمطُّ بمعنى، وفي الذكر: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣].

والأيدي، مفردها يد، والأيادي جمع الجمع.

وتُصغَّر اليد على يُدَيَّة، وفيها لغات.

والزاد: ما يزداد به الجسم نموًّا. وهو الطعام الذي يؤكل.

والعجلة: ضد التأني، وجاءت هذه المادة في مواضع من سورة طه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣]، ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [طه: ١١٤]، ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]، وجاء أيضًا فيها ذكر (العِجْل) لعجلة فيه.

وجعل ابن فارس لمادة (عَجَل) أصلين (الإسراع، وحيوان) وعلى ما ذكرته، يلتئم معناه مع الأصل الأول.

والجَشَعُ: الحرص الشديد على الطعام، وفعله من باب فَرِح.

وتقدّم معنى بقية ألفاظ البيت.

وفي رواية للبيت:

.... بأجشعِهم إذ أجشع القوم يعجلُ

وما أدري كيف يأتلف هذا الخلق العالي مع ما سيأتي من تفاخره بالطمع والجشع، وإغارته على الآمنين، وترميله النسوان، وتيتيمه الولدان، كما سيأتي في قوله مفتخرًا بوثوبه على الدور وأهلها:

فأَيَّمْتُ نسوانًا وأيتَمْتُ إِلْدةً وعُدتُ كما أَبْدَأْتُ والليلُ أليلُ

٩- وَمَـا ذَاكَ إِلَّا بَسْـطَةٌ عَـنْ تَفَضُّـلٍ
عَلَـيهِمْ وَكَـانَ الأَفْضَـلَ المتفَضِّـلُ

الشرح:

يقول: ذلك التأني في مدّ اليد للزاد هو نوع من السعة والانبساط في النفس، والمتفضل بهذا الكرم النفسي هو الأفضل.

والبسطة: الاتساع، وفيها لغتان (السين والصاد) وقد قرئ بهما في قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩].

وكثيرًا ما تتعاقب الصاد والسين، ولكن لا يكون ذلك في كل الألفاظ، لاسيما إذا كان بعدهما لام، فإنه يقبح التعاقب، كالسلام، وصالح، وأصلح، ونحو ذلك.

والفضل: ما كان زائدًا على القدر المطلوب مما فيه نفع.

و"الأفضل" خبر مقدَّم، و"المتفضل" اسم كان.

وفي نحو هذا يقول ابن مالك:

وفي جميعهـا توسُّـطَ الخَبَـرْ أجِـزْ، وكـلٌّ سَـبْقَهُ دَامَ حَظَـرْ

١٠- وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيسَ جَازِيًا
بِحُسْنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

١١- ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ
وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيطَلُ

الشرح:

يقول: كفاني فقدان من لا يعاملني بالحسنى ثلاثة من الأصحاب (قلبي، وسيفي، وقوسي).

وهذا هو المناسب لحاله، وأما طالب العلم فيكفيه كتابه، ومحابره، وقلمه.

وكما قيل:

.... وخير جليسٍ في الزمانِ كتابُ

والفقد، والفقدان: ضياع الشيء وذهابه.

و"جازيًا" مكافئًا.

والحسنى: تأنيث الحسن.

وهو اسم مصدر، من قولك: أحسن حسنًا، وحُسنى، كقول الشاعر:

فلم أُجْزَ على فعلي بحُسنَى ... ولكن بالمساءة قد جُزِيتُ

ولا يصحّ أن يكون تأنيثًا للأحسن؛ لأن مثل هذا يلزم تعريفه بـ(ال)، ومن ثم عابوا على أبي نواس قوله:

كأن صُغرى وكُبرى من فواقِعها ... حصباءُ درٍّ على أرض من الذهبِ

و"متعلَّل" متلهًى، العُلالة: القليل الذي يتعلل به المرء.

والأصحاب، والصحبة، والصِّحاب، والصَّحب، واحد.

ويجمع أيضًا، مفرده على صُحبان، كشابٍّ وشبَّان.

والفؤاد، والقلب، والجنان، والخَلَد، والرُّوع، والخِزان، والجلجلان، واحد.

وقيل: الفؤاد وسطُ القلب.

والمشيَّع: المِقدام الذي كأنه حين إقدامه في شيعة من صحبه.

والأبيض: نعت للسيف، وبعضهم يجعله اسمًا له.

ومن الألفاظ التي تطلق على السيف: الصارم، والحسام، والقاضب، والمهنَّد، وذو الفِقَار، والمِخذم، والمشْرفيُّ، إلى خمسين لفظًا أو أكثر.

والإصليت: المُصلت، أو الصَّقيل.

والصفراء: أراد بها القوس.

والعيطل: الطويلة.

وأكثر ما تتخذ القوس من شجر النبع، والشوحط، والسدر.

١٢- هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ يَزِينُها

رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِليهَا ومِحْمَلُ

الشرح:

يصف أو يخبر عن القوس بأنها من عودٍ أملس المتن، يزينها ما أضيف إليها من سيور.

والهتوف: من الهتاف، وهو الصوت.

وهو نعت، أو خبر لمبتدإ محذوف.

"من الملس" من عيدان ملس متونُها.

ولفظ "المتون" يجوز فيه الرفع على الفاعليَّة، كأنه قال مَلُسَ متنها، ويجوز الجرُّ على الإضافة، والنصب على التشبيه بالمفعول به؛ لأن فعله لا يتعدَّى، والإضافة هنا لفظية، ولهذا جاز فيها إدخال "أل" على المضاف.

وفيه يقول ابن مالك:

ووصلُ "أل" بذا المضاف مغتفرْ إن وُصلتْ بالثان كـ "الجعد الشَّعرْ"
أو بالذي له أضيف الثاني كـ "زيدٌ الضاربُ رأسِ الجاني"

والرصائع، مفردها: رصيعة: سيور تحسَّن بها القوس.

ومعنى "نيطت" أضيفت وعلقت، ومنه نياط القلب.

والمِحْمَل، كمِنبَر: عِلَاقة السيف.

قال امرؤ القيس:

ففاضت دموعُ العين منِّي صبابةً على النحر حتى بلَّ دمعي مِحْمَلي

١٣ - إِذا زَلَّ عَنها السَّهمُ حَنَّت كَأَنَّها

مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعوِلُ

الشرح:

يصف القوس بأنها تحدث صوتًا إذا مضى منها السهم، كأنها حين تصوِّت امرأةٌ ثكلى فقدت ولدها تصوِّت وتولول.

ومعنى "إذا زلَّ عنها السهم" إذا فارقها وتنحى عنها، كما قال سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦]، أي: أوقعهما في الزلل؛ إذ نحّاهما عن الطاعة.

والسَّهم، معروف، ولا يقال له: سهم إلا إذا كان عليه ريش، وإلا فهو قِدْح (بكسر القاف)، وأما القَدح؛ فهو الإناء.

والحنين: صوت يصدر عن حزن وشوق، وأصله للإبل والنساء.

ويكون للرجال أيضًا، قال الصِّمَّة بن عبد الله القشيري:

حننتَ إلى ريَّا ونفسك باعدتْ مزارك عن ريَّا وشعباكما معا

ويروى عن علي: (من كرم المرء بكاؤه على ما مرَّ من زمانه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه).

ويروى "أنَّت" مكان "حنَّت"، والفرق بين الأنين والحنين؛ أن الأنين يكون عن ألم، والحنين عن شوق.

"مرزَّأة": المصابة بالرزايا، وهي بالبلايا والمصائب.

و"عجلى": وفي رواية (ثكلى)، وهي المرأة التي فقدت ولدها.

والثُّكْل والثَّكَل، كالعُرب والعَرَب، والعُجم والعَجَم، والوُلْد والوَلَد، والسُّخْط والسَّخَط، والقُفل والقَفَل.

"تَرِنُّ": تصوِّت، ويقال: تُرِنُّ، من أرنَّت.

ويقال للقوس: المُرِنَّة والمرنان.

و"تُعْوِلُ" من العويل، وهو البكاء بصوت عالٍ.

يقال: أعْولت المرأة إعوالًا، إذا صوَّتت.

وفي البيتين مثال لحسن الاختيار فيما يقتنيه المرء، وقد وجدنا أن اقتناء جيِّد الأشياء وأصيلها، ولو غلا ثمنه، هو الأنفع اقتصادًا، والأكثر بقاءً، والأحسن أثاثًا ورئيًا.

١٤- وَأَغْدُو خَمِيصَ البَطْنِ لا يستفزُّني
إلى الزَّادِ حرصٌ أو فؤادٌ مُوَكَّلُ

الشرح:

يقول: إنه يغدو جائعًا، ويصبر على جوعه، لا يثيره حرص طامع، ولا قلب معلق.

وخميص البطن: ضامره، وهو الخالي، وفي حديث الطير: "تغدو خماصًا، وتروح بطانًا".

والاستفزاز: الإثارة.

وفي الكتاب العزيز: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾.

والحرص: الشرَه.

والفؤاد الموكَّل: المعلق.

قال الأحوص الأنصاري:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ حذرَ العِدا، وبه الفؤاد موكَّلُ

١٥- وَلَستُ بِمِهيافٍ يُعَشِّي سَوامَهُ

مُجَدَّعَةً سُقبانُها وَهيَ بُهَّلُ

الشرح:

يقول: لستُ ممن يهمل إبله بعيدًا؛ فيُعْشِي بصرَها، ويعطّشها فتكون سُقبانها جائعة بئيسة، وأمهاتها بُهّلًا، أي: متروكة؛ لأنه ليس فيها لبن.

وقد اختُلف كثيرًا في معنى البيت، ويروى: ولستُ بمهيابٍ (بالباء).

والمهياف: الذي يعطّش إبله، وقيل: سريع العطش.

السَّوام: الإبل التي تترك ترعى، مفردها: سائمة.

والمجدَّعة: المقطوعة الأنوف.

والسقبان، مفردها: سقب، ولد الناقة.

والبُهَّل، مفردها: باهل، وهي التي ليست مصرَّاةً.

وفي البيت مَثَلٌ نافع، ودافع وأيُّ دافع، لمن يضيّع مَن يعُول، وفي الحديث الصحيح: "كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع من يعُول"، وفي رواية "يقوت" وهو في أبي داوود. ولفظه في مسلم: "كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمَّن يملك قوته".

وقد يكون التضييع بإهمال التربية على الاستقامة، وحسن الخلق، وإهمال التعليم النافع، فهذا من التقصير والإخلال بالأمانة، وأشدُّ منه إهمال المرء نفسه.

١٦- وَلا جُبَّأٍ أَكهى مُرِبٍّ بِعِرسِهِ

يُطالِعُها في شَأنِهِ كَيفَ يَفعَلُ

الشرح:

يقول: ولستُ أيضًا بجبان ثقيل يلازم عرسه في بيته، يبيت يحادثها كيف يفعل في تدبير أموره، والقيام بشؤونه.

وفي هذا البيت ما يبعث همَّة البطالين، ويحرك نفوسَ الكسالى الفارغين، والذين يعلّقون نجاحاتهم بأوهام لا حقيقة لها، وينتحلون معاذير يقنعون بها أنفسهم وأهليهم.

وهذا المعنى كثير الوجود في الواقع، ولكأني أنظر إلى مثله ممن يطالع عِرسه، وينظر إليها حيران، ماذا يفعل؟!

والجبأ: الجبان، ومثله: الحِسْل، والفَسْل، والهَيوب، والـمَنْخُوب، والرِّعديد.

وأقول في ذلك نظمًا:

وكالجبان: الجبَّأُ الهَيُوبُ والفسلُ، والرِّعشيشُ، والمنخوبُ
والكَيْءُ، واليراعُ، والرعديدُ والحِسْلُ، والخائم، والمنجودُ

والأكهى: الأبخر الفم، وقيل: سيء الخلق، وقيل: الثقيل، كأنه شبه بجبل يقال له: أكْهَى، بين رابغ والمدينة.

"مربٌّ بعرسه" ملازم لامرأته، لاصق بها، لا يفارقها.

يقال: أربَّ على الشيء: لزمه وواظب عليه.

والعِرس: امرأة الرجل، ويطلق على الرجل أيضًا عرس.

وفي حديث لا يصحُّ سنده: "أعوذ بك من غنًى مُبطرٍ، وفقرٍ مُرِبٍّ"، أي: ملازمٍ.

والشأن: الأمر إذا كان ذا بال، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢]، والاستئذان في هذا المقام لا يكون إلا لأمرٍ ذي بالٍ.

وفي حديث التيمُّن: أنه كان يعجبه التيمُّن في تنعله وترجّله وطهوره وفي شأنه كله.

ولو قال الراوي: في أمره كله، لكان التيمُّن في كل شيء مستحبًّا.

١٧- وَلا خَـرِقٍ هَيـقٍ كَـأَنَّ فُـؤادَهُ

يَظَـلُّ بِـهِ الـمُكَّاءُ يَعلـو وَيَسـفُلُ

الشرح:

يقول: ولستُ بجاهل أحمق، خائف، كأن قلبه من شدة خوفه بصوت في داخله طائر المُكَّاء، يريد أن فؤاده هواء.

كما جاء في الكتاب العزيز عن الظالمين: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، كأن أفئدتهم تتردد في أجوافهم، فلا تجد مكانًا تستقرُّ به، أو خالية من الخير، أو خالية من العقل والفهم بسبب الحيرة والدهشة، ويقال للجبان: فؤاده هواء، لا قوة له ولا رأي.

ولا أخوفَ من الظالم حين تقدُّمه للحساب والعقاب.

وفي نحوه يقول: عمران بن حِطَّان:

أسدٌ عليَّ وفي الحروبِ نعامةٌ ربداءُ تنفِر من صفير الصافرِ
هلّا برزْتَ إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائرِ

والخِرقُ: الجاهل الأحمق، ومثله: الغُمر، والغِرُّ، والأنوك، واللَّفيك، والبِلغُ، والخَرِق، والأموق.

والمُكَّاء: طائر، وجمعه: مكاكي، وقيل: هو الورَشان، وسمِّي طائر المكَّاء بذلك لصفيره، والمُكاء، كالبكاء: هو الصفير.

ورد في الكتاب العزيز، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

ومعنى "يعلو ويسفُل" أي: يرتفع الصوت وينخفض، ويحتمل عندي أن يكون معناه: يرتفع به القلب وينخفض.

والعِلوُ (بكسر العين وضمِّها).

١٨- ولا خَالِـــفٍ دارِيَّـــةٍ مُتَغَـزِّلٍ

يَـرُوحُ وَيغْـدُو داهنًـا يَتَكَحَّـلُ

الشرح:

يقول: ولست مثل من يتخلَّف عن الخير، أو الغزو، ويلازم البيت، ويفعل فعل النساء في تجمُّله في كل حين. وسيأتي قوله في آخر القصيدة:

بعيدٌ عنّ الدهن...

والخالف: الذي لا خير فيه، وقيل: من يتخلَّف عن الغزو، شبِّه بالخالفة، وهي عمود يكون في آخر الخباء، وليس منه قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧]؛ لأن هذا جمع خالفة، و"فواعل" لا يكون جمعًا لمذكر عاقل.

والداريُّ: هو الملازم للدار، لا يفارقها.

والمتغزِّل: من يغازل النساء بالكلام، والإشارة، والمضاحكة، ونحو ذلك.

والرواح والغدوُّ: ضدَّان.

والدَّهن: من الدُّهن، والتكحُّل: من الكُحْل.

والرجولة التامة تأبى هذه الأخلاق التي لا تكون عادة من صفات الرجال الكمَّل العَمَلة الصُّناع، وفي الخبر - وهو صحيح المعنى -: "اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم"، وصحَّ عنه - صلى الله عليه وسلم - النهي عن الترجُّل إلا غِبًّا.

١٩- وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ

أَلَفَّ إذا ما رُعْتَهُ اهْتَاجَ أعْزَلُ

الشرح:

يقول: ولست برجل كبير السنِّ، صغير الحجم، شرُّه يسبق خيره.

والعَلُّ، بفتح العين: القُراد، والرجل إذا كان كبير السن صغير الحجم.

والألَفُّ: بيِّن اللَّفَفِ، وهو العاجز العَيِيُّ.

رُعتَهُ: أفزعته.

اهتاج: فزع وثار، ومنه الهيجاء، وهي الحرب.

والأعزل: الذي لا سلاح معه.

والمراد: إذا هيجته ثار منه رجل أعزل، لا ينفع بشيء.

وهذا يشبه التجريد، وانتزاع أمر من أمر، لقولك: لي من فلان صديق حميم، وفي الذكر الحكيم: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]، أي: لهم في النار خلود دائم.

وسيأتي في مفاخرات الشاعر ما يقضي على هذا كلِّه، وأن شرَّه أكثر من خيره، وهو وأمثاله ممن يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦] يهيمون في كل غرضٍ من أغراض الشعر، والصعاليك منهم يهيمون في أودية الشعر وأغراضه، وفي أودية الأرض.

٢٠- وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلَامِ إذا انْتَحَتْ

هُدَى الهَوْجَلِ العِسِّيفِ يَهْمَاءُ هوجَلُ

الشرح:

يقول: لستُ ممن يُحَيَّر في ظلمات الليالي في القِفَار، إذا حيَّرتْ تلك القفارُ الأحمق الثقيل.

والمحيار: مِفْعال من الحَيرة، وهي تزاحم الشكوك على القلب، ومادة (حَيَرَ) بجميع مشتقاتها، لم ترد إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١].

نَحَوت: قصدت، يقال: نحا ينحو نحوًا، إذا قصد، ويأتي النحو بمعنى القصد، والجهة، والقَدْر، والمِثل، والقِسْم، وجمَعَها قول بعضهم:

نَحَونَا نحوَ دارك يا حبيبي وجدنا نحوَ ألفٍ من رَقيبِ
وجدناهم جياعًا نحوَ كلبٍ تمنَّوا منك نحوًا من شَريبِ

فقد ورد النحو هنا خمس مرات، ومعانيها هي التي ذكرتها على الترتيب نفسه.

والهوجل: الثقيل الأحمق الذي لا يدري ما يفعل. وهو مأخوذ من الناقة الهوجل، وهي الناقة السريعة الخفيفة.

العسِّيف: الذي يعتسف الأمر على غير هدى.

يهماء: الصحراء الواسعة التي يضلُّ فيها السائر.

والأرض الهوجل: هي التي ليس فيها عَلَمٌ يهتدى به، فكأنها والأحمق الهوجل سواء.

فليس لديه فكر يهديه، ولا في الأرض علامة تهديه، فهو في ظلمات بعضها فوق بعض (ظلمة جهله، وظلمة الأرض، وظلمة الطريق، إذا كان سيره في الليل).

وهذا مثل السائر في طريق عوجاء، وقد تغشَّته ظلمات الجهل، وظلمات الشهوات، أو ظلمات الشبهات.

٢١- إذا الأمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَناسِمِي

تَطَايَرَ منه قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ

الشرح:

يصف نفسه بأنه قويٌّ على السير، وأنه قويُّ القدمين، بحيث إذا مشى على الحجر الصُّلب تطاير منه شرر.

ومن لوازم ذلك أن تكون قدماه متحجِّرتين مخشوشنتين من كثرة المشي، حتى كأنه لابس نعل.

وفي هذا يقول أبو الطيب ساخرًا من كافور:

وتُعجبني رجلاك في النَّعل إنني رأيتك ذا نعلٍ إذا كنتَ حافيًا

وفي هذا درسٌ لمن أراد أن يدرِّب نفسه على شيء يتعلق بجسده، أو خُلُقه.

والأمعز: المكان الصُّلب، والرجل الممعَّز: صلب الجلد.

والصَّـوَّان: الحجـار الملـس القويـة. وأصـل الكـلام: الأمعـز ذو الصَّوَّان، هكذا قال صاحب "المنتخب"، ولكن لو قيل: إنه بدل، لم يكن بعيدًا.

والمناسم: مفردها: منسم، وهي في الأصل للبعير.

فاستعاره الشاعر لنفسه للمشابهة.

والتطاير: التفرُّق.

والقادح: الشرر الذي يكون من اصطكاك رجليه بالحجر.

والمفلَّلُ: المكسَّر.

٢٢- أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ

وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فأُذْهَلُ

الشرح:

يقول: إنه يصبر على الجوع بإطالة مدَّته، والإعراض عنه، حتى يذهب، ويذهل عنه.

وفي الصحيح: "من يتصبَّر يصبِّره الله".

والجوع يطرد بأدنى شيء يأكله الإنسان، فإن لم يجد ما يأكله وصبر ذهب، وقد دلَّت التجارب على أن من صبر على الجوع ثلاثة أيام، فإنه لا يعود إليه الجوع إلا بعد أيام أو أسابيع، إذا كان يشرب الماء، وهو ما يسمَّى بالصوم الطبي. وفيه جدل كثير.

وجرَّبته سبعة أيام، وثلاثًا، وجرَّبه بعض أصحابنا أربعة عشر يومًا، وبعضهم ثمانية عشر يومًا، وبعضهم أكثر.

وسمعت، وقرأت للشيخ الألباني -رحمه الله-، أنه جوَّع نفسه أربعين يومًا، لا يذوق فيها إلا الماء، مع مزاولة لأعماله بلا انقطاع، وأنه خرج بفائدتين:

إحداهما: أن المرء يقدر على ترك الطعام مدَّة طويلة.

الثانية: أن فيه دواءً لبعض الأمراض.

وكان عرض له، وهو دون الخمسين، بعض أعراض في القلب، ومنتصف العمر تعرض فيه بعض المنذرات، وهي غالبة، لا لازمة.

واشتهر في هذه الأيام ما يسمَّى بالصوم المتقطِّع، وهو الصبر عن الطعام عشر ساعات إلى أربع وعشرين ساعة، ولا يمتنع فيه عن الماء، أو الشراب الخالي من (الكربوهيدرات).

وفي الصوم الشرعي منافع كثيرة.

وأنواع الصوم الأخرى تناسب من يقلُّ صبره عن الماء وما يشبهه، ويضعفه صوم التطوع عن العمل.

وفي الشطر الثاني من البيت جملة جاء مثلها في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف: ٥]، والقرآن جاء بلسان العرب، ولكنني أقترب من القول بأن كثيرًا من أشعار العرب منحولة، وأن الرواة كانوا يضعون من الشعر ما يتفردون به، ولكلٍّ غايته، ومن الغايات شهوة الكذب.

والكذاب يمتع نفسه برؤية الناس وهم يعجبون من مختلقاته، وتصديقهم له، ويجد لذلك لذة.

وكان حمَّاد الراوية ممن يتقوَّل على الشعراء، ويزيد في قصائدهم، ورواة الشعر ليسوا بأورع من بعض رواة الحديث، وفي كل الرواة أثبات وثقات. ورواة الشعر أقل من رواة الحديث، والورع لديهم أقل.

غير أن العناية برواة السنة وألفاظها لا نظير له في تاريخ الأمم كلها، وذلك من حفظ الله لدينه.

ومعنى أُدِيم: أبقيه دومًا.

يقال: دام الشيء يدوم دومًا، ودوامًا، وديمومةً.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]، أي: ساكنون خاشعون، أو: يصلّونها على الدوام.

و "مِطَال الجوع" مدُّه.

وأقول في مترادفات الجوع:

كالجوع خَمصٌ وسُعارٌ وطَوَى وسَغَبٌ مجاعةٌ غَرْثٌ خَوَى

وفي قوله "حتى أُميتُه": بالرَّفع، ويجوز بالنصب؛ على أنها للمستقبل.

وهو ما عناه ابن مالك بقوله:

وبعدَ حتى حالًا او مؤوَّلا به ارفعنَّ وانصب المستقبلا

والإضراب: الإعراض، وتقول: ضربت عنه صفحًا، إذا صفحت عنه صفحًا، أو: نحيته جانبًا.

والذهول: الغفلة والنسيان، ولم ترد "ذَهِلَ" وما يشتق منها إلا في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ [الحج: ٢].

٢٣- وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ
عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

الشرح:

يصف نفسه بالعزَّة والتعفف عن سؤال الخلق، بأنه لا يسأل أحدًا من الناس حتى لا يتطوَّل عليه أحد، ولا يمتنَّ عليه مانٌّ، ولو أدَّى ذلك إلى أن يأكل التراب ليسكت جوعه.

والقصيدة من أولها معبِّرة عن نفسيَّة الشنفرى، وأنه شديد التحسُّس، ضعيف التحمل، قوي التأثر، بالغ الاعتداد برأيه، والاعتزاز بنفسه.

وهذا وأمثاله تنفعهم العزلة، وهي خيرٌ لهم وأقوم.

والصبر على الناس وأذاهم أفضل لمن استطاع ذلك.

ومن الناس من تكون العزلة واجبة عليه، إذا كان يؤذي الناس، ولا يشعر بذلك.

والناس في هذا على أربع مراتب:

- منهم من يؤذي غيره، ويتحمل أذى غيره.
- ومنهم من لا يؤذي غيره، ولا يتحمل.
- ومنهم من لا يؤذي، ومع ذلك يصبر على أذى الخلق، وهو أفضلهم.
- وأما رابعهم فهو أبعدهم، وهو من يؤذي الخلق، ولا يتحمل أذاهم.

والاستفاف يكون للتراب، وغير المعجون من المطحونات ونحوها.

وفي التراب إحدى عشرة لغة، منها: التُّرب، والتَّوْرب، والتَّوراب، والتَّيرَبُ، والتَّيرابُ، والتِّرْيَبُ، والتَّرْيبُ، ويجمع على أتربة، وتِربان.

وكيلا: حرف نصب، واتصلت بها "لا".

والطَّول: المنة والتفضل، وجاء في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣].

و "متطوِّل" من التطوُّل، وهو ادِّعاء الطول، أي: ادعاءُ الإنعام والمنة به.

٢٤- ولولا اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ
يُعَاشُ بــه إلاّ لَــدَيَّ وَمَأْكَــلُ

الشرح:

في رواية: "ولولا اتقاء الذلِّ"، وفي أخرى: "ولولا اجتناب العار".

يقول: لولا أنني أجتنب الذمَّ، لحصَّلت كلَّ مشرب ومأكل، بطرق مذمومة.

وسيأتي ما ينقض دعواه.

و "لولا" حرف امتناع لوجود، فيكون المعنى هنا: امتنع التحصيل المذموم، لوجود اجتنابي وكراهتي للعيب.

قال في نظم قواعد الإعراب:

حَرفُ امتنـاعٍ لوجـودٍ لـولا وحَرفَ تحضيضٍ أتتْ كَـهَلَّا

والذَّأم، والذَّام: العيب، والمذؤوم: المذموم، قال سبحانه: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨].

ومعنى "يعاش به" أي: يحيا به المرء.

٢٥- وَلكِنَّ نَفْسًا مُـرَّةً لا تُقِيـمُ بـي
عـلـى الـذامِ إلاَّ رَيْثَمـا أَتحـوَّلُ

الشرح:

وفي روايـة: "ولكـن نفسًـا حُـرَّةً" وفي روايـة: "عـلى الضيـم" مكـان "الذام".

يقول: إن له نفسًا لا تقبل العيب، وإن قبلت به مضطرة لم يكن ذلك إلا مدة انتقاله عن مكان الضيم.

ويشبهه مخالطة الخائضين في آيات الله بغير علم، يعرض عنهم المؤمن حتى يخوضوا في حديثٍ غيره.

وكلمة "لكن" حرف للاستدراك والعطف، كما قال ابن مالك:

.... كَلَـم يبـدُ امـرؤٌ لكـن طَـلَا

والنفس: الروح، قيل: سميت بذلك لتولُّد النفس منها.

والـــمِرَّة: القـــوة الشـــديدة، وفي الكتـــاب العزيـــز:

﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦].

ويجوز أن تكون "مُرَّة" بالضَّمِّ، على معنى المرارة.

والرَّيـث: الـبطء والمهَـل، وفي المثـل: "رُبَّ عجلـةٍ تهـب ريثًـا"، منصوب في البيت على الظرفية.

٢٦- وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ

خُيُوطَـةُ مـارِيٍّ تُغَـارُ وتُفْتَـلُ

الشرح:

يقول: أصبرُ على الجوع وأطوي أمعائي حتى تصبح جافة كأنها حبال مفتولة.

والخَمص، بالفتح: الجوع، وتقدم مرادفاته.

والحوايا، مفردها: حويَّة، وهي الأمعاء.

ووردت في القرآن مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وذلك أن الله حرَّم على اليهود شحومَ البقر والغنم، وأحلَّ لهم ما حملت ظهورهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم.

والخيوطة: الخيوط.

و "ماريٌّ" أي: فاتل، أو رجل اشتهر بفتل الحبال وصنعها.

ومعنى "تغار" تُفتَل، ويغيَّبُ بعضها في بعض.

والصبر على الجوع من أقوى أنواع الصَّبر، وقد قيل: الجوع بئس الضجيع، وفي سنن أبي داوود بإسناد صحيح: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة".

ولكن من قدر أن يصبر على الجوع، وغالبَهُ مدَّة فإنّه ينقطع، كما قال قبل قليل:

أُديم مِطالَ الجوعِ حتى أُميتَه

٢٧- وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَـدَا
أَزَلُّ تَهَـادَاهُ التنائِـفُ أطْحَـلُ

الشرح:

يخبِرُ عن نفسه بأنه يغدو أول النهار باحثًا عن قُوتِه، كذئب نحيل يتنقل في الفلوات يبحثُ عمَّا يسدُّ جَوْعته.

والقوت الزهيد: الطعام القليل النزر، الذي يُزهَد فيه.

والأزلُّ: وصفٌ للذئب القليل اللحم، سمِّي بذلك لقلة لحم وَرِكيه.

ومعنى "تهاداه" تُهديه.

والأطحل: الذي في لونه كدرة.

ويروى "أكْحَل" مكان "أطْحَل".

وما من غادٍ يطلب رزقه إلا وهو رائح به، قلَّ أو كثر، فإن لم يجد يومه ذلك، ادَّخر له عمله لرزق أجلّ، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

وتأملت في حال كثير من الأغنياء الذين صُبَّ عليهم الرزق صبًّا، مع قلة عملهم، وضعف جهدهم؛ فخطر في البال خاطر ينطوي على معنى جليل، وسرٍّ لطيف، وهو أن ذلك ثمرة من ثمار جهد أبيه، أو أحد آبائه ادَّخره له، وبسطه عليه؛ لأن الله لا يضيع عمل عامل.

فإن لم يكن الخاطر صحيحًا، بقي اليقين بأن الله يدخره للعامل الصالح في العقبى.

وأمر هذا الشنفرى عجيب غريب، فهو أقرب إلى الذئاب من البشر، ولا ترى في شعره اهتبالًا بالمجون، ولا التفاتًا إلى ذوات النون[1]، ومن تتبع كلامه في شعره وجد الصعلكة حيث يشاء، وهو القائل:

أنا السِّمعُ[2] الأزلُّ[3] فلا أبالي ... ولو صَعبت شناخيب[1] العقابِ[2]
ولا ظمأٌ يؤخرني وحَرٌّ ... ولا خَمْصٌ[3] يقصِّرُ من طِلابِ

---

(١) أعني: نون النسوة، كناية عن النساء.

(٢) ولد الذئب من الضبع.

(٣) السريع.

وإذا ذكر النساء ذكرهنَّ بالعفة، لقوله في تائيته:

أميمَـةُ لا يخـزي نَثاهـا حليلَهـا   إذا ذكـر النسـوانُ عفَّـت وجلَّـتِ
إذا هــو أمسـى آب قُـرَّةَ عينِـهِ   مآب السعيد لم يَسَلْ: أين ظلَّتِ؟

يريد أنها لا تبرحُ بيتها.

والنَّثا: الإخبار عن الشيء بالحسن أو القبيح.

وهو قريب من الثناء.

والثناء يكون بالخير والشر، ولكنه غلبَ على الخير.

---

(١) أعالي الجبال.

(٢) العِقاب: جمع عَقبة، وهي المرقى الصعب.

(٣) جوع.

٢٨- غَـدَا طَاوِيًـا يُعَـارِضُ الرِّيـحَ هَافِيًـا

يَخُـوتُ بِأَذْنَـابِ الشِّـعَابِ ويُعْسِـلُ

الشرح:

هذا البيت تتمَّة لما قبله في وصفِ الذئب، يغدو جائعًا، يذهب يَمنةً ويَسرةً من شدة جوعه، يختطف ما ينقض عليه ويمضي.

والطاوي: الجائع.

والهافي: السريع، أو الذي يذهب يَمْنَة ويَسْرَة؛ لشدَّة الجوع.

ومعنى "يخوتُ": يختطف.

والأذناب: الأطراق.

والشعاب: جمع شِعب، وهو الطريق في الجبل.

والعَسَلان: مشي للذئب، يُنعت بالسهولة.

٢٩- فَلَما لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ

دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

الشرح:

يقول: لما دفعه الجوع، وفي رواية: "دعاه" من حيث قصدَه، ولم يجد شيئًا استعان بجماعته، فأجابته، فإذا هي جائعة مثله.

ومعنى "لواه": دفعه، وقيل: مطله وامتنع عليه.

والأَمُّ: القصد، كقوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، أي: قاصديه.

والنُّحَّلُ: جمعُ ناحل، وهو الضامر النحيل.

٣٠- مُهَلَّلَـــةٌ شِيــبُ الوُجُــوهِ كأنَّــها

قِــدَاحٌ بأيــدي ياسِــرٍ تَتَقَلْقَــلُ

الشرح:

في رواية "مهلهَلة"، وكذلك يروى "بكفَّي" مكان "بأيدي".

ومعنى البيت: تلك الجماعة من الذئاب هزيلةٌ من شدة الجوع، شعر وجهها أبيض، وهي مضطربة في سيرها كسهامِ القمار.

المهلَّلة: الرقيقة اللحم.

والشِّيب، مفردها: أشيَب، والمؤنث شيباء.

والقِداح: جمع قِدْح، وهو السهم قبل بريه وضمِّه إلى نصله، والقِدْح أيضًا: أداة للقمار.

والقَدَح، بالفتح: الإناء.

والياسر: المقامر.

والتقلقل: الاضطراب.

٣١- أوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ

مَحَابِيـضُ أرْدَاهُـنَّ سَـامٍ مُعَسِّـلُ

الشرح:

يشبِّه الشاعر نفسَه في سرعته وهيَجانه بالنحل إذا هيَّجها العاسِلُ.

والخَشْرم: رئيس النحل، وقيل: جماعة النحل، ولا واحدَ له من لفظه.

والمبعوث: المفرَّق المطيِّر من وكره.

و "حثحث" حرَّك وأزعج، كأن أصله حثَّ، ولكن مع تكرار سريع.

وأصل الحثحثة: التحرك مع مشي سريع.

"دَبْرَه" نحلَه، أو نوع من النحل، وحَمِيُّ الدَّبْرِ: عاصم بن ثابت، وقصته معروفة في الصحيح.

والمحابيض، مفردها: مِحبض، وهو العود الذي يشتار به طالب العسل.

وأرداهنّ: أهلكهن.

والمعسِّل: طالبُ العسل ومحصِّله.

٣٢- مُهَرَّتَـةٌ فُـوهٌ كَـأَنَّ شُدُوقَـها
شُـقُوقُ العِصِـيِّ كَالِحَـاتٌ وَبُسَّـلُ

الشرح:

يصف الذئابَ بأنها واسعةُ الأشْداق، كأن أفواهَها وهي كالحة شقوق العصيِّ.

والذئاب المهرَّتة الأشداق: واسعاتُ الأشداق.

واحدها: هِرِّيت، وهَرِيت، كسِمِّيع وسَمِيع.

والفوه: مفردها: الأفوه. وهو واسعُ الفم، والأنثى فوهاء.

والشِّدق: جانب الفم.

والشقوق: مفردها: شَقٌّ (بفتح الشين).

والكالح: كالعابس، وزنًا ومعنًى.

ويقال: كلح مثل كَشَر، وزنًا ومعنًى، وهو قريب من التبسُّم في صورته.

ولم ترد هذه اللفظة إلا في قوله تعالى:

﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

والبُسَّلُ: جمع باسل، وهو كريه المنظر، كما تقدَّم.

٣٣- فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأَنَّها
وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

الشرح:

يقول: إن ذلك الذئب الأزلّ صاح، فصاحت معه جماعةُ الذئاب في تلك الأرض الواسعة، فكأن عويَّها نَوح نساء ثكلى.

والضجيج: صوت عالٍ عن تألُّم، أو ضجر، أو خوف.

يقال: ضجَّ القوم، وأضجُّوا.

والبَراح، بفتح الباء: الأرض الواسعة، التي لا شجر فيها.

والنُّوحُ، مفردها نائحة، بضم النون، وضبطت في المنتخب بفتح النون، وهو خطأ.

"فوق علياء" فوق هضْبة عالية.

وعلياء كل شيء: أشرفه وأعلاه.

و "ثُكَّل" جمع ثاكل، وهي المرأة تفقدُ ولدها الوحيد، وقيل: التي كلما ولدت ولدًا مات.

٣٤- وأغْضَى وأغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ بِهِ
مَرَامِيلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

الشرح:

في رواية "أراملُ" مكان "مراميل".

والمراد: أن الذئاب تأسَّت بذلك الذئب، وأخذ كلُّ واحد يعزّي الآخر بالصياح؛ لأن الهم واحد، وهو الجوع.

والإغضاء: الكفُّ عن الصياح.

والاتِّساء: الاقتداء. ويروى: "وابتسى وابتست" أي: أنس بها، وأنست به.

والمراميل: مفردها: مُرمِل، وهو الذي لا قوتَ له.

والتعزية: المواساة بالصبر.

وإعراب "مراميل" خبر لمبتدإ محذوف.

٣٥- شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ

وَلَلصَّـبْرُ إنْ لَـمْ يَنْفَـعِ الشَّـكْوُ أجْمَـلُ

الشرح:

والمعنى: أنها ارعوت بعد الشكوى، وعلمتْ أنَّ الصبر هو الأجمل.

والشكوى: معروفة، يقال: شكا يشكو شكوًا، وشَكِيَّةً، وشِكايةً، وشَكاةً.

والشاعر يتخيل ذلك من صوتها المحزن، أو بلسان الحال.

كما قال غيره:

شكى إلـيَّ جملي طولَ السُّرى مهـلًا رويـدًا فكلانـا مبتلَـى

وقوله "ارعَوى" وزنه افْعَلى، وهو من الرعْوِ.

ويقال: إن الحسن بن زين، النحوي، الشنقيطي المشهور، سئل في صحبة معه عن وزن هذه الكلمة، فلم يعرف الجواب، فتوجه إلى تعلم الصرف، وكان من آثار ذلك أن قال في تتميمه للامية الأفعال:

وعَن مَداهُ ارعَوى كاحْوَوَّ[١] خارجَةٌ ... وارقـدَّ[٢] وازْوَرَّ عـنْ معناتـهِ انفصَـلا

وبعضهم جعل وزنه: افْعَلَلَ، من الرَّعْوى.

وقوله: "وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل"، حكمة، وأيُّ حكمة. ومعناه واضح.

---

(١) احوَوَّ الشيء، فهو أحوى: اخْضَرَّ.

(٢) أسرع في سيره.

٣٦- وَفَــاءَ وَفَــاءَتْ بَــادِياتٍ وَكُلُّــها

عَلــى نَكَــظٍ مِمَّــا يُكَاتِــمُ مُجْمِــلُ

الشرح:

يقول: إن الذئابَ رجعت بعد يأسِها من الطعام، وهي تكاتم الجوع.

قال في المنتخب: كلُّ واحد منها يظهر أنه قد أكل ويكتم ضرَّه.

ولم يظهر لي هذا المعنى؛ لأن الذئاب كانت مجتمعة، وتلك عادتها في الافتراس، هي والضباع.

قال: وقد ضرب ذلك مثلًا لنفسه؛ لأنه حين لا يجد ما يأكله، يطوي بطنه، ويُظهِر للناس أنه أكل.

والفيء: الرجوع. ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

ويأتي بمعنى: الظل، والصيد، والغنيمة.

نظمتها قديمًا في بيت، ونحن على مقاعد الدراسة في الكلية:

والفـــيءُ جـاء لمعــانٍ صـيدُ ظــلٌّ غنيمــةٌ وأيضًــا عَــودُ

فقال زميلي(١):

والفـــيء جـــاء لمعـــانٍ أربعـــهْ ظـلٌّ وعَـودٌ غُـنْمُ صيدٍ فاجْرَعَـهْ

باديات: ظاهرات، وفي رواية: بادرات، أي: مسرعات.

والنَّكَظ: العَجَلة، والنكِظ، كالعَجِل، وزنًا ومعنًى، وتنكَّظ الأمر: التوى.

والمُجمِلُ: هو من يظهر التجَمُّلَ بالصبر.

(١) زيد الآذان طالب أحمد، يحمل علمًا جمًّا، وله تصانيف وأنظام، وكان رفيق الدراسة من المرحلة المتوسطة، إلى سنة التخرج في الجامعة الإسلامية، بكلية القرآن الكريم، عام ١٤١٠هـ.

٣٧- وَتَشْرَبُ أَسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَما

سَرَتْ قَرَبًا أَحْنَاؤهَا تَتَصَلْصَلُ

الشرح:

يخبِر عن نفسه بأنه يسرع إلى الماء ليشربه، وأنه يسبق طيورَ القطا، فتشرب ما بقي.

والأسآر، مفردها: سؤر، وهو ما يبقى في الإناء من الشراب. ومن الأحاديث المشتهرة "سؤر المؤمن شفاء" وهو حديث لا يصح عند أهل العلم، بل لا أصل له.

القطا: نوعٌ من الطير، سمِّي بذلك؛ لأنه يقطو في مشيته، أي: يقارب بين خطوِه، وقيل: لأنه إذا صاح، قال: قطا قطا.

والكُدْر، مفردها: كَدْراء، وهي غبراء اللون.

والقَرَب: سيرُ الليل.

والأحناء: الأضلاع.

والتصلصل، والصلصلة: صوتٌ يحدث للماشي، لخفّةِ مشيته، أو سرعته.

٣٨- هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وأسْدَلَتْ

وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

الشرح:

يقول: هممت وهمَّت، واستبقنا إلى الماء فأرختْ أجنحتَها تعبًا، وشمَّرت عن ساعد الجد، فسبقتها.

والهمُّ: دونَ العزم، وهو خاطرٌ قويٌّ في النفس.

والسياق يدلُّ على أنه أراد به العزم.

والابتدار: الإسراع.

ومعنى "فأسدلت": أرخت أجنحتَها؛ لأنها تعبت.

وفي رواية: "وقصَّرت".

ومعنى "وشمَّر مني فارط" أي: انبعث مني سابقٌ مشمر، يعني نفسَه، وهذا من التجريد في البلاغة، وقد سبق مثله، وهو أن تنتزعَ من شيءٍ شيئًا

آخر مثله، كأن تقول: لك منك امرؤٌ شجاع، ولي منك صديق حميم، وفي الذكر العزيز، في وعيد الكافرين: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨].

٣٩- فَوَلَّيْتُ عَنْها وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ
يُبَاشِرُهُ منها ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

الشرح:

يقول: وليت عنها مبعِدًا، وهي تتساقط لعطشها في عقر الحوض.

ومعنى "ولَّيتُ" انصرفت.

و "تكبو" تسقط، وتتعثر.

والعقر: جانب من الحوض، واللام في "لِعُقره" بمعنى "إلى"، وقال في "المنتخب" بمعنى "في"، وليس بجيد.

وقيل: العقر: مقام الساقي من الحوض.

والذُّقُون، مفردها: الذَّقَن، والمراد: ما تحت حلقومها.

والحوصل، جمع حوصلة، وتجمع أيضًا على حواصل. وهي مَعِدة الطائر.

٤٠ - كـأنَّ وَغَـاها حَجْرَتَيْـهِ وَحَوْلَـهُ

أضَامِيـمُ مِـنْ سُفْـلى القَبَائِـلِ نُـزَّلُ

الشرح:

يُشبّه أصواتَ القطا حول الماء بأصوات جماعاتٍ من القبائل الدانية يريدون النزول.

والوغى: الضجيج، والصياح، والضوضاء، والجلَبة، وهو اسم "كأن" وخبرها "أضاميم".

و "حَجرتيه" منصوب على الظرفية، والحَجْرتان: الناحيتان، وكذلك "حوله" منصوب على الظرفية، والواو فيه عاطفة.

والمعنى: كأن وغاها في ناحيتيه، ومن حوله... إلخ.

والأضاميم، مفردها: إضمامة، وهي الجماعة.

"من سفلى القبائل" كان من عادة العرب أن الفقراءَ ينزلون بالمكان المنخفض من الأرض، والأشرافُ يبتغون الأعالي.

وفي رواية: "من سَفْر القبائل" أي: المسافرين.

واقتصر عليها محقق ديوانِ الشنفرى إيميل يعقوب، وقال عن الرواية الأخرى: تصحيف.

والنُّزَّل: جمع نازل، كساجد، وسُجَّد.

٤١- تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا

كما ضَمَّ أذْوَادَ الأصَارِيمِ مَنْهَلُ

الشرح:

يقول: اجتمعت هذه القطا مختلفة على الماء، فضمَّها كما ضمَّ منهل الماء جماعات من الإبل.

ومعنى "توافَين" اجتمعنَ وتوافدن.

و "مختلفة" متفرقة، وقيل: معناه: من طرق مختلفة.

والأذواد" جمع ذود، وهو الإبل، من الثلاثة إلى العشرة.

وفي أمثال العرب: "الذودُ إلى الذودِ إبل".

و "الأصاريم" جمع أصرام. ومفرد الأصرام: صِرْم، وهي الجماعة من الإبل تبلغ ثلاثين.

كأنه قال: كما ضمَّ المنهلُ طائفةً من جماعاتِ الإبل الكثيرة.

٤٢- فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كأنّها

مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ

الشرح:

يقول: هذه القطا لشدة عطشِها شربت الماءَ على عجلة، ثم عادت مسرعةً مع الفجر.

والعَبُّ: الشرب بلا تنفس من غير مصٍّ، وهو بهذا ينبئ عن عجلتها، وشدة عطشها.

والغِشاش العجلة، وهو منصوب على الحال، تقول: لقيته غِشاشًا، أي: على عجلة.

و "أحاظة" اختلف فيها، فقال ثعلب: قبيلة من الأزد، وقيل: من حِمْير، وقيل: موضع، وقيل: قبيلة من اليمن، وقال المبرِّد: لا أعرفها، ولم أسمع بها إلا في شعر الشنفرى.

المُجفِل: المسرع، والأجفل: الظليم الذي يهرب من كلّ شيء يراه.

وأجفلَ القوم: هربوا.

٤٣ - وآلَفُ وَجْهَ الأرْضِ عِنْدَ افْتَراشِها

بِأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ

الشرح:

يصفُ نفسَه بالصبر على الشدائد والشقاء؛ بأنه أَلِف افتراشَ الأرض بعظام ظهره، وأنها تستقبل الأرض.

وكانوا يفخرون باطّراح الترف، والنومِ من غير وِطاء.

والألفة: التعلق بالشيء بسبب الاعتياد.

والأهدأ: الأثبت، وقيل: الأحدب، ويقال للأحدب أيضًا: الأجنأ، والأدفأ، والأدنأُ.

والسَّناسن، مفردها: سِنْسِن: فَقار الظهر، أو: مغارز الأضلاع من الظهر.

والقاحل: اليابس، والجمع: قُحَّل، كما ورد في البيت.

٤٤- وَأعْـدِلُ مَنْحُوضًـا كـأنَّ فُصُوصَـهُ

كِعَـابٌ دَحَاهَـا لاعِـبٌ فَهْـيَ مُثَّـلُ

الشرح:

يقول: إنه يتوسد ذِراعًا نحيلة، ليس فيها لحم، ولا يظهر منها إلا مفاصل صُلبة تشبه الحديد.

والمراد بقوله: أعدل: أي: أسوِّي، يريد أنه يسوِّي ذراعَه تحت رأسِه إذا نام.

والمنحوض: الذي ذهب لحمُه، ولم يبق إلا عظمه وجلده.

والفصوص: مفاصل العظام.

والكعاب، مفردها: كعب، وهو العظمُ الناشز في القدم، عند ملتقى الساق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

و "دحاها" بسطها، ومنه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

والـمُثَّل: المنتصبة، يقال: مَثَلَ يمثُل: إذا انتصب.

٤٥- فَإِنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ

لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ

الشرح:

يقول: إن حزنتِ الحربُ على الشنفرى - يعني نفسه - فلطالما فرحتْ به في الأيام الخالية.

والابتئاس: الحزنُ الشديد.

وفي الذكر العزيز: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦].

و "أمُّ قسطل" كنية الحرب، والقسْطل: الغبار، سميت بذلك؛ لأنها تُثيرُه.

والاغتباط: السرور بالشيء.

والفرق بين الغبطة والحسد: أن الحسد: تمني زوال النعمة عن المحسود.

و "قبلُ" مبنيٌّ على الضم.

وتسْميتُه لنفسه في البيت، تفخيم لأمره، وهو من وضع الظاهر موضع المضمر.

وقد استدلّ بهذا البيت من أثبت هذه القصيدة للشنفرى، لورود اسمه فيه، وهي قرينة لا ترقى إلى الدليل.

٤٦- طَرِيدُ جِنايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ

عَقِيرَتُهُ لِأَيِّها حُمَّ أَوَّلُ

الشرح:

يخبر عن نفسه بأنه مطاردٌ لجناياتِه الكثيرة، ومن يطاردونه متنافسون فيه، أيّهم يأخذه وينتقم منه.

و "طريد" على زنة فعيل، بمعنى مفعول، أي: مبعَد، بسبب جناياته، وقدَّرها الشيخ أحمد: (طريد أهل جنايات). ومما ورد في الطرد في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

والجِناية: ما يجنيه المرء، أي: يجرُّه على نفسِه من المكروه.

"تياسرن": تقاسمن.

عقيرته، العقيرة: ما عقر من صيد أو غيره، ويريد بها - هنا - نفسه؛ لأنه مطلوب للعقر.

حُزَّ: قُطِع، وفي رواية: "حُمَّ" أي: قُدِّر.

أوَّل: أي: وهو أوَّل.

٤٧- تَنَـامُ إذا مَـا نَـامَ يَقْظَـى عُيُونُـهـا

حِثَاثًـا إلَـى مَكْرُوهِـهِ تَتَغَلْغَـلُ

الشرح:

يقول: تبيت هذه الجنايات أو أهلها مفتوحة الأعين، وإن نام أهل الجنايات بقيت عيونُها مفتوحة تترصّد لإيقاعِ المكروه به. وعلى هذا المعنى مضى ما رأيتَه من الشروح.

ويبدو لي معنى آخر، وهو أن الجنايات أو أهلها تنام إذا ما نام وهدأ (في حالٍ لا تكون عالمة بنومه) ... إلخ.

ومعنى "حثاثًا" سراعًا.

و "مكروهه": ما يكرهه.

تتغلغل: تتعمَّقُ.

٤٨- وإلْـفُ هُمُـومٍ مـا تَـزَالُ تَعُـودُهُ
عِيَـادًا كَحُمَّـى الرِّبْـعِ، أو هِـيَ أثْقَـلُ

الشرح:

في رواية: "عياد الحمَّى الرِّبع".

يقول: إنه مصاحبٌ للهموم من كثرة ما تعوده، وإذا عادته كانت أثقل من حمَّى الرِّبع.

والهمُّ: ما تهتمُّ له.

والعياد: مصدر عاده يعوده عيادةً وعيادًا.

وحمَّى الرِّبع، بكسر الراء، هي حمَّى شديدة تأخذ بالمرء يومين، ثم تجيء في الرابع، وقيل: تأخذ به يومًا، ثم تجيء في اليوم الرابع.

٤٩- إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُها ثمّ إنّها

تَثُوبُ فتَأتي مِنْ تُحَيْتُ ومِنْ عَلُ

الشرح:

يقول: إذا وردتني الهمومُ صرفتُها، ولكنها تأتيه بعد ذلك من كل مكان.

والورود: الحضور، وأصل الورود للماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، أي: حضرَه ليشرب.

أصدَرتُها: ردَدتُها.

تثوب: ترجع، يقال: ثاب يثوب ثوبًا وثوبانًا، والمثابة: الموضع الذي يثاب إليه مرة بعد مرة. وفي الكتاب الحكيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾.

تُحيت: تصغير "تحت".

علُ: مكان عالٍ، والضمة فيه ضمة بناء، ويعامل معاملة قبلُ وبعدُ، ولها أربع حالات:

١- أن تضاف، نحو: من قبلِ ذلك، فتجرُّ بالكسرة.

٢- أن تقطع عن الإضافة بالمرة، ولا ينوى حذف المضاف إليه، فتنصب على الظرفية، كقول الشاعر:

فساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلًا أكاد أَغَصُّ بالماء الحميمِ

٣- أن تضاف وينوى لفظ المضاف إليه، كقول الشاعر:

ومن قبلِ نادى كلُّ مولى قرابةٍ فما عَطَفَتْ مَولىً عليه العَواطفُ

أي: ومن قبلِ ذلك.

٤- أن ينوى معنى المضاف إليه فقط، نحو: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

وهناك ألفاظ أخرى تأخذ هذا الحكم.

وأشار إلى ذلك في (الخلاصة) بقوله:

واضمم بناءَ "غيرًا" ان عَدِمْتَ ما   لـه أُضـيف نَاويًـا مـا عُـدما
قبلُ كغيـرُ بعـدُ حسْـبُ أوّلُ   ودونُ والجهـات أيضًـا وعَـلُ

٥٠- فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيًا

عَلى رِقَّةٍ أحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ

الشرح:

يتخيلُ امرأةً يُخاطبها، على عادةِ الشعراءِ في ذلك، يقول: إن تريني بارزًا في الشمس كابنة الرمل، وهي الحية، أو الظبية، لا أملك ما يسترُ جسدي، وأنا حافٍ غير منتعل...

وقوله: فإما تريني: أصلُه إن تريني، و"ما" زائدة، أُدغمت فيها "إن"، وأرى أن مثل هذا التركيب يُلمحُ فيه الظرفية.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦].

والمخاطَب هنا امرأةٌ متخيَّلة كما تقدّم، ويحتمل أنه يخاطب أمّ قسطل، وهي الحرب، التي ذكرت آنفًا.

و "ابنة الرمل" الحية، وقيل: الظبية، أو بقرة الوحش.

والضاحي: هو الذي يصيبه حرُّ الشمس، وفي الكتاب العزيز: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩]، أي: لا يصيبك حرُّها.

والرقة: النحول، رقة جسده.

و "أحفى" فعل مضارع من الحفاء، والحافي: غير المنتعل.

وفي رواية: ولا أتسربل، أي: لا ألبس السربال: وهو القميص.

٥١- فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ

عَلى مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ

الشرح:

هذا جوابُ الشرط: يقول: إن تريني بتلك الحال البائسة، فإني وليُّ الصبر وصاحبه، ألبس ثيابَ الصبر كما أشاء، ولي قلبٌ على مثل قلب الذئب، في شجاعة وحزم.

والمولى: من الوَلْي، وهو القرب، ويطلق على السيد، والعبد المعتَق، وغير المعتَق، والصديق، والجار، والقريب، وابن العم، والناصر، والخليط، والحليف، والمعتِق (بكسر التاء).

وهذا كله يمكن أن يفسر به قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا﴾ [الدخان: ٤١]، كما بينته في "وجه النهار".

أجتاب: ألبس، وجاء في حديث الذين جاؤوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشكون الفقر، أنهم كانوا مجتابي النمار.

والسِّمْع: ولد الذئب من الضبع، وتقدم ذكره.

والحزم: الأخذ بالجد والثقة، وهو هنا مفعول مقدَّم. ولم يرد في القرآن الكريم "حزم" ولا "مزح" ولا "حمز" ولا "زحم" ولا "محز" ولا "زمح".

والصَّبر قائدٌ إلى نوال المراد، ولابدَّ دون الشَّهد من إِبَرِ النحل، ومن صبر ظفر، وفي هذا المعنى من حكم الشعر الكثير الوفير، ومنه قول العتَّابي:

فإن جَسِيمات الأمور مشوبةٌ ... بمستودعات في بطون الأساودِ

وقال أبو الطيب:

ذريني أنل ما لا ينال من العلا ... فصعبُ العُلا في الصَّعبِ والسَّهلُ في السهلِ

تريدين وجدانَ المعالي رخيصةً ... ولابدَّ دون الشَّهد من إبر النحلِ

٥٢- وأُعْـدِمُ أَحْيَانًـا وأَغْنَـى وإنَّمـا

يَنَـالُ الغِنَـى ذو البُعْـدَةِ المُتَبَـذِّلُ

الشرح:

يقول: أفتقر أحيانًا، وأحيانًا أغتني، وإنما ينال الغنى من جعله غايةً له.

ومعنى "أُعدم" أفتقر، يقال: أَعْدَم فهو مُعدِم، وعديم، ومن الأخطاء الشائعة، قولهم: فقير مُعدَم (بفتح الدال) والصواب مُعدِم (بكسر الدال).

والحين: المدَّة من الزمان تطول جدًّا وتقصر.

وذو البعدة: صاحب البُعدة (بضم الباء وكسرها)، وهو بعيد الهمَّة مع قلة فطنة.

والـمُتبذِّل: الذي يبذل نفسه ويذلها بالسؤال حتى يصير غنيًّا.

والفقر هو الحال الملازمة للصعاليك العدّائين، وكذلك النحول صفة ملازمة لهم؛ لأن العدْوَ يُذيب اللحم، ويُنحل الجسم.

٥٣- فلا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ

ولا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أَتَخَيَّلُ

الشرح:

المعنى: لست ممن يجعله الفقرُ مبتئسًا يظهر ضعفه، ولا ممن يجعله الغنى مرحًا مختالًا.

والجزع: الخوف والفزع.

والخَلَّة: الحاجة والفقر.

والمتكشِّفُ: الذي يكشف فقره للناس.

والمرَح: الفرح بنشاط.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

أتخيَّلُ: أختال، وهو تفعُّل من الخيلاء.

والتخيل: العجب في كِبْر.

٥٤- ولا تَزْدَهِي الأَجْهالُ حِلْمِي ولا أُرَى
سَؤُولًا بأعْقَابِ الأقَاوِيلِ أُنْمِلُ

الشرح:

يُثني على نفسه بأنَّ الجُهّال لا يستخفونه؛ لأنه حليم، وبأنه متعفف عن السؤال، وبأنه غير نمام.

والازدهاء: الاستخفاف، يقال: ازدهاه الفرح، أي: استخفَّه.

والأجهال، مفردها: الجهل، وهو مصدر، والمصادر لا تجمع إلا إذا أريد نوعٌ منها. ويحتمل أن يكون جمع جاهل، كأصحاب جمع صاحب، ولبعض الشعراء كالشنفرى والشمّاخ خروج عما هو مألوف في كلام العرب، كما قال أبو حيان[1].

والشاعر أراد أن أنواع الجهل لا تستخفّه.

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١/ ٦١٥.

والسؤول: صيغة مبالغة من سأل.

والأعقاب، جمع عَقِب، وعقب كل شيء آخره، ومثله العاقبة.

ومن أسماء النبي - صلى الله عليه وسلم - "العاقب"؛ لأنه آخر الأنبياء.

٥٥- وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلي القَوْسَ رَبُّها
وَأَقْطُعَـــهُ اللَّاتـــي بِـــهَا يَتَنَبَّـــلُ

الشرح:

يقول: وربّ ليلة باردة، يستدفئ فيها صاحبها بإشعال قوسه التي هي عزيزة عليه، من شدة بردها.

والواو واو "رُبَّ" في "وليلة نحس" وهي محذوفة، والواو دليل عليها، كما قال في الخلاصة:

وحُذِفتْ "ربَّ" فَجَرَّت بعد "بلْ" والفا، وبعد الواوِ شاع ذا العملْ

والنَّحس: البرد، وغالبًا ما يطلق على ما يُضادُّ السَّعد.

والاصطلاء: الاستدفاء، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧].

والطاء أصلها في مثل هذا تاء (الاصتلاء).

والقاعدة الصرفية تقول: يجب أن تجعل التاء هنا طاءً لمجاورتها حرف إطباق، وهو - هنا - الصاد.

وفيه يقول في الألفية:

طا تا افتعالٍ رُدَّ إثر مطبقِ   في ادَّان وازدْد وادَّكرْ دالًا بقي

والقوس، معروفة، وتصغر على قُويسَة، إذا كانت مؤنثةً، وعلى قويس، إذا كان مذكرًا.

والتصغير مما يعرف به المؤنث والمذكر.

وفي هذا يقول ابن مالك:

ويعرف التقدير بالضميرِ   ونحوه كالرَّدِّ في التصغيرِ

وجمع قوس قِسِيٌّ.

وجاء ذكره في الذِّكْر، في قوله سبحانه: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

والأقطُع، جمع قِطْع، وهي السهام الصغار.

وجمع فِعْل على أفْعُل شاذ، والقياس أقطاع، كحِمْل وأحمال، وأما أفْعُل فهو جمع لفَعْل، كبطن وأبطُن، وكلب وأكلب.

والتَّنبُّل من النَّبل، والمراد: اتخاذ النَّبل منها للرمي.

٥٦- دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي

سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وأفكَلُ

الشرح:

معناه واضح إذا اتضحت مفرداته.

والدَّعس، أصل معناه الطعن، والمراد هنا: الإسراع في الإغارة.

وقيل معناه: مشيت.

الغطش: الظلمة، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [النازعات: ٢٩]، وخصَّ الظلام بالغطش؛ لأنه أشد الظلام، وتلك عادة الصعاليك، لا يغيرون في الليالي المقمرة.

والبغش: المطر الخفيف.

وصحبتي: أصحابي.

والسُّعار: الجوع، وهو في الأصل: لهيب النار، فاستعير للجوع الشديد.

والإرزيز: صغار البَرَد.

والوجْر: الخوف، تقول: وَجِرْتُ من فلان، كخِفْتُهُ.

يقال للرجل: هو أوجر، وللمرأة وَجِرة.

ولا يقال: وجْراء، كما لا يقال من الوجل: وجلاء.

والأفكل: الرِّعدة.

يقال: أخذه أفكلٌ، أي: رعدة.

٥٧- فأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وأَيْتَمْتُ إِلْدَةً[١]

وَعُدْتُ كما أَبْدَأْتُ واللَّيْلُ أَلْيَلُ

الشرح:

يقول: لما أغرتُ قتلتُ رجالًا، وأيَّمت نِسوانًا، وأيتمْتُ أطفالًا، وغنِمتُ، ورجعتُ والليلُ ما زال مظلمًا.

ومعنى "أيَّمتُ" جعلتُهن أيامى، والأيِّم: التي لا زوج لها، ويقال للرجل الأيم. والمراد: أنه جعلهنَّ أيامى بقتل أزواجِهن.

والنسوان، والنِّسوة، والنُّسوة، والنساء، والنِّسيُّ، مثل قِسِيٍّ = واحد.

والإلدة: الأولاد.

واليتيم: من فقد أباه، ومن فقد أمه: العجيُّ، ومن فقدهما معًا: اللَّطِيم.

(١) أكثر الروايات على هذا، وفي المنتخب "وِلدة".

واليتيم في الحيوان: من فقد أمه.

وأبدأت: ابتدأت.

والليل الأليل: شديد الظلام.

وهذه الأفاعيل الدنيئة سببها أمران، الأول: الجهل، والجهل ظلام، وصاحبه في ظلام، وأنى يهتدي من يسير في ظلام. والثاني: الفقر، والفقر مع الجهل مجمع العيوب، وهو القلة والعلة والذلة.

ولا يسلم من غوائلِ الفقر وعيوبِه إلا من كان معه كنزُ القناعة والرضا، ولا يكون ذلك إلا في أفرادٍ من الناس، ممن علموا عزَّ القناعة، وحلاوةَ الرضا، وبهذا يكون الجهلُ مرتفعًا عنهم.

وكان هذا الشاعرُ وغيرُه في أمّة جاهلية، حملهم الفقرُ والجهلُ على مثل هذه الأخلاق، بل على المفاخرةِ بها، وصار الظلم عندهم من شِيَم النفوس، ومن لا يَظْلِمِ الناس يُظلم، ومن قصَّر عن ذلك فهو جبانٌ رعديدٌ ناقصُ الرجولة، وتراهم يصفون من لا يغدر ولا يظلم بالحقارة والذلّة، فيقولون عمن سلم الناس منهم، ولم يبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء:

قبيِّلـــة لا يغـــدرون بذمـــةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردلِ

ومثل هذه المعاني الظالمة تنزِع الرحمة من القلوب، وتمحو كثيرًا من الفضائل.

٥٨- وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالسًا
فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ

الشرح:

الغميصاء: موضع، وهي اليوم قرية بجنوب مكة، قرب ميناء الشُّعيبة، شمال وادي الليث، يكثر بها شجر الأراك.

يقول: كان من عاقبة إغارتي أنهم عند الصباح أخذ يسأل بعضهم بعضًا وهم متعجبون: كيف كان ذلك؟

والغُميصاء، من الألفاظ التي وردت على ألسنة العرب مصغَّرة، ومثلها: الغُرَيراء (طائر)، والشُّوَيلاء (موضع)، والسُّوَيداء (موضع).

ونحو ذلك: الثُّريا، والحُميَّا (الخمر)، والقُصَيرى (آخر الأضلاع).

وكتبت عن الشيخ أحمد الحسني قول الناظم في (مبيطر، ومهيمن، ومسيطر، ومبيقر، ومجيمر):

ولم يجئ وزنُ مُفَيعلٍ سوى خمسةِ ألفاظٍ لها بيتي حوى

مهـــيمنٌ، مبيقـــرٌ، مســـيطرُ ‏ مجيمِـــرٌ، خامســـها مبيطـــرُ

فسِّـــرْهُ بالرقيـــب، والمختـــالِ ‏ وبالتســـلُّط لِـــذَين تـــالِ

وجبـــلٍ علـــى الجبـــال أربـــى ‏ معـــالجٍ فـــواعلًا مـــن دَبَّـــا

وهي كما ترى مفسَّرة بالترتيب، والشطر الأخير شرح للمبيطر، وهو المعالج للدوابِّ، ولم يمكنه أن يقول: معالج الدواب، فجاء بوزن دوابّ الذي هو من (دبَّ)، وأصله: دَبَبَ، واسم الفاعل: دوابّ، أصله: دوابِب، على وزن فواعِل.

٥٩- فقالوا: لقد هَرَّت بليلٍ كلابُنا

فقلنا: أذئبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُلُ

الشرح:

المعنى: أن القوم الذين أغار عليهم، قالوا: لم نسمعْ إلا هرير كلاب؛ لأنها أحسّت بذئب أو ضبع.

والهرير: صوت الكلاب.

والعَسُّ: الطواف بالليل، ومنه العَسَسُ: العرَّاس في الليل.

٦٠- فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ

فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أمْ رِيعَ أجْدَلُ

الشرح:

يقول: لم يكنْ هريرُ الكلاب إلا صوتًا واحدًا، ثم نامت، فقلنا: هذا ليس بذئب ولا ضبع، بل الذي أحسّت به صوت قطاة، أو صقر.

والنبأة: الصوت.

والتهويم: النوم، وفاعل (هوّمت) يعود على الكلاب.

والقطاة نوعٌ من الطير، وجمعُه القطا، والقطوات.

وقوله: رِيع، الأصل أن يقول: رِيعت، ولكنه صرفه إلى المعنى وهو الطائر، والرَّوع الخوف عن فزع.

والأجدل: الصقر، وسمي بذلك لفتله الفريسة.

٦١- فَإِنْ تَـكُ مِـنْ جِـنٍّ لَأَبْـرَحُ طارِقًـا

وإِنْ يَـكُ إِنْسًـا مـا كَهـا الإِنـسُ تَفْعَـلُ

الشرح:

يريد أن الناس تعجّبوا من تلك الإغارة؛ لأن العادةَ جرت أن تكون الإغارةُ من جماعةٍ من الرجال، فلعل من أغار كان من الجن لا من الإنس، فإن كان من الجنّ فهو أشدُّ طارقًا، وإن كان من الإنس، فالإنس لا تقدر على هذا.

وفي رواية: "لئن كان"، وفي رواية بالياء بدل التاء في "تك"، وفي رواية: "لأبرحُ طارقٍ" بالخفض.

و "أبرح" أفعلُ تفضيل، والمعنى: فلأنت، أو: فلَهُو أبرح طارقًا، على التمييز.

والبَرح: الشدَّة.

وقوله: "كَهَا" الكاف للتشبيه، والهاء: للتنبيه، والأصل: كهذا، وبقي الكاف داخلًا على هاء التنبيه، وإن كان ذلك بعيدًا جدًّا.

وأحسن منه أن يقال - وهو الذي رجحه المحققون - أن تكون الهاء هنا ضميرًا، يعود إلى النبأة، وأرجِّحُ أن تكون عائدة على الإغارة، ودخول الكاف على الضمير شاذٌّ في اللغة.

ويقول عنترة في نحو هذا:

لا أبعد الله عن عيني غطارفةً إنسًا إذا نزلوا جنًّا إذا ركبوا

والغطارفة: جمع غطريف، وهو السيد السخي الشريف.

٦٢- وَيومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ

أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ

الشرح:

يقول: ربَّ يومٍ شديد الحرارة من أيام نجم الشِّعرى، يذوب فيه لعاب الشمس، وهو خيوطه الممتدة، وتضطرب فيه الأفاعي من شدة الحرِّ.

ويروى: "لؤابه" وهو بالمعنى الأول.

والشِّعرى: نجم يطلعُ في زمن الحرّ من السَّنة، وورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩].

والأفاعي، مفردها: أفعًى[١] (بالتنوين)، وذكرُها أُفْعُوان.

والتململ: التحرك والاضطراب.

---

(١) وكذلك أروًى قال ابن مالك:

وأجدلٌ وأخيلٌ وأفعى مصروفةٌ وقد ينلْنَ المنعا

٦٣- نَصَبْتُ لـه وَجْهي ولا كِنَّ دُونَـهُ

ولا سِتْـرَ إلاَّ الأتْحَمِـيُّ المُرَعْبَـل

الشرح:

يقول: نصبت لذلك اليوم الذي وصفته بشدة الحر، نصبت له نفسي بلا ستر، إلا ذلك الثوب الممزّق الذي ألبسه.

ومعنى نصبت له وجهي: أقمت بمواجهته.

والكِنُّ: السِّتر، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل:٨١].

والأتحميُّ: نوع من الثياب.

والمُرعبل: المخرَّق.

٦٤- وَضَافٍ إذا طَارَتْ له الرِّيحُ طَيَّرَتْ
لبائِدَ عن أعْطَافِهِ ما تُرَجَّلُ

الشرح:

و "ضاف" معطوف على "الأتحمي".

يقول: إنه لا يقي نفسَه بشيء من الحرّ إلا بالأتحمي، وبشعر كثيف ضافٍ، ثم وصف شعره بأنه لبائد مركومة غير مرجَّل، تطيره الريح.

ومعنى "ضاف" كما تقدم: شعر ضافٍ، فهو صفة لموصوف محذوف، كقوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ [سبأ: ١١]، أي: دروعًا سابغات. وهو جائز كثير، كما قال ابن مالك:

وما من المنعوتِ والنَّعتِ عُقِلْ   يجوز حذفه وفي النعت يَقِلّ

واللبائد: جمع لبيدة، كصحيفة وصحائف.

والأعطاف: الجوانب.

والتَّرجيل: تسريح الشعر.

٦٥- بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ

لَهُ عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغُسْلِ مُحْوِلُ

الشرح:

يقول: إنه منذ زمن بعيد لم يمسَّ دهنًا، ورأسُه مملوء بالقمل، لم يخرجه منه.

والفَلْي: تخليص شعر الرأس من القمل ونحوه.

عهده: مقاربته.

والعَبَس: ما تعلَّق بأذناب الإبل، والضأن، وأفخاذها، من بول وبعر، فيجفُّ عليها.

ومعنى "عافٍ" كضافٍ: كثير؛ لأن "عفا" تأتي بمعنى كثر، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الأعراف: ٩٥]، أي: بلوناهم بالنعم بدلَ النقَم، حتى توالدوا وكثروا.

والغَسل معروف، مصدر، والاسم الغُسل.

"مُحوِلُ" أتى عليه حول، وهو نعت للعبَس.

٦٦- وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ

بِعَامِلَتَيْنِ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ

الشرح:

يثبِت لنفسه ما يدل على تفرُّده في الصعلكة، بأنه يقطع القفار المضلِّلة التي لا تسلك، وأنه قطع منها أراضي كثيرة.

و "الخَرْقُ": الأرض الواسعة التي تتخرَّق فيها الرياح، وتجمع على خُروق، كبرق وبروق، ورأس ورؤوس.

كظهر الترس: يريد أنها مستوية.

والقفر: الأرض الخالية التي ليس فيها أحد.

بعاملتين: أي: برجلين عاملتين ناصبتين.

ظهره ليس يُعمل: أي: بطن الخرق لا يسلك.

٦٧- فألْحَقْتُ أُوْلاهُ بأُخْرَاهُ مُوفِيًا

عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَارًا وَأمْثُلُ

الشرح:

يقول: لشدة سرعتي ألحقت أوّل القفر بآخره إلى أن أجلس على قمة جبل حينًا، وحينًا أظلُّ سائرًا.

والإلحاق: إتباعُ شيءٍ بشيء، واللَّحاق: الإدراك، يقال: لحِقَه، ولحِقَ به.

والمُوْفي: المشرف على الشيء، المطلُّ منه.

والقُنَّة: أعلى الجبل، كالقُلَّة.

والإقعاء: إلصاق الرجل أَلْيتيه بالأرض، وهو ناصب ساقيه، مسندٌ ظهره.

أَمثُل: أنتصبُ قائمًا.

٦٨- تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلي كأَنَّـها
عَــذَارَى عَلَيْهِــنَّ الـمُلاَءُ المُذَيَّــلُ

الشرح:

يقول: تجيء وتذهب الأراوي ذات اللون الأسود الضارب إلى الصفرة، وقيل: الحمراء الضارب لونها إلى السواد.

ترودُ حولي؛ لأنسهنَّ بي، كأنهن العذارى، عليهنَّ الملاء المذيل (يشبه أوبار الأواري بالـمُلاء).

ومعنى "ترود": تجيء وتذهب، وماضيه: رَادَ، والمكان منه مَرَاد، بفتح الميم، وأما الـمُراد فمن أراد، وفيه وفي غيره يقول بعضهم:

مِيمُ مُرادٍ مِيمُ آكلِ المُرارْ[1]   وعَينُ عُذرةٍ لها الضَّمُّ شِعارْ

(١) بقل برّي، وبكسر الميم: الحبل.

والأراوي، مفردها: أُرْوِيَّة، وهي نوع من الوعول.

والصُّحم، مفردها: صحماء، وهي ذات اللون الأسود الضارب إلى الصفرة، وقيل: الحمراء المشوبة بسواد. والمذكر: أصحم.

والعذارى، جمع عذراء: البكر.

٦٩- ويَرْكُدْنَ بالآصالِ حَوْلِي كأنّني
مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ

الشرح:

يقول: تلك الوعول أنستْ بي، وأنستُ بها؛ فهي تركد، أي: تثبت في مكانها حين تراني، كأنني كبيرها المعتصم في أعلى الجبل.

والركود: البقاء في ثبات، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى:٣٣].

والآصال، جمع أصيل: آخر النهار، قال تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾.

والأعصم من الظباء والوعول: الذي جاء بإحدى يديه بياض.

والأدفى من الوعول: الذي طال قرنه جدًّا، أو الذي اعوجَّ من طوله.

والمنتحي: المتنحّى.

والكِيح: سفح الجبل.

والأعقل: الممتنع في أعلى الجبل.

الخاتمة

وليحمد العبد ربَّه على ما هداه إليه من الإسلام والخير، والحمد من طالب العلم على ما هُدِي إليه سلوك سبيله أوجب وأحق، وليلزم الطريق، ويجدَّ السير، ولا يفتُرْ، ولا يملَّ.

وليكثر المطالعة، والتأمل، ومباحثة أهل العلم من ذوي الحلم، وسعة الصدر، وليصبر.

وأنشدنا شيخنا أحمد الحسني أبياتًا ونسبها إلى الشافعي:

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلمُ ... وعنه فباحث كل من عنده فهمُ

ففيه جلاء للقلوب عن العمى ... وعون على الدين الذي أمره حتمُ

فخالط ذوي علمٍ وصاحب خيارهم ... فخُلطتهم زينٌ وخُلطتهم غُنمُ

ولا تغدونْ عيناك عنهم فإنهم ... نجومٌ إذا ما غار نجمٌ بدا نجمُ

ثم يقول:

إذا سئل المسكين عن أمر دينه ... بدت رُحَضاء العيِّ في وجهه تسمو

فهل أبصرت عيناك أقبح منظرًا ... مِنَ اشْيَبَ لا علمٌ لديه ولا فهمُ

واعلم بأنَّ علم العربية يزيد ذكاءك، ويقوي علمك، ويكشف لك من المعاني أسرارا، ويفجر لك من العلوم أنهارا، ويُريك طبائع القوم، ومحاسنهم ومساوئهم، ويغدو بك ويروح في حدائقَ ذاتِ بهجة، وروضات من الفنون والعجائب.

فلا تكن من الغافلين، ولا تسمع إلى قول المخذّلين.

وقد رجعت حين الحاجة في شرحي هذا إلى طائفة من الشروح، منها: المنتخب، ومعاجم اللّغة، وما كنت حذقته من شرح شيخنا أحمد الحسني، رحمه الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وآله، وصحبه أجمعين.

اللامية بتمامها

١- أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكم
فَإِنِّي إلى قَومٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ

٢- فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيلُ مُقْمِرٌ
وشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

٣- وَفِي الأَرْضِ مَنْأًى للكَرِيمِ عَنِ الأَذَى
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

٤- لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ
سَرَى رَاغبًا أَو رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ

٥- وَلِي دُونكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

٦- هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيهِمْ وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخذَلُ

٧- وكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غيرَ أَنَّنِي
إذا عرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

٨- وإِنْ مُدَّت الأَيدِي إلى الزَّادِ لَم أَكُنْ
بَأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَومِ أَعْجَلُ

٩- وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفضُّلٍ
عَلَيهِمْ وَكَانَ الأَفضَلَ المتفضِّلُ

١٠ - وَإِنِّـي كَفَـانِي فَقْـدَ مَـنْ لَـيسَ جَازِيًـا
بِحُسْـنَـى وَلا فِـي قُربِـهِ مُتَعَلَّـلُ

١١ - ثَلاثَـةُ أَصْحَابٍ فُـؤَادٌ مُشَيَّعٌ
وَأَبْـيَضُ إِصْلِيتٌ وَصْـفراءُ عَيطَـلُ

١٢ - هَتُـوفٌ مِـنَ الـمُلْسِ الـمُتُونِ يَزِينُهـا
رَصَائِعُ قَـدْ نِيطَـتْ إِلَيهَـا ومِـحْمَلُ

١٣ - إِذا زَلَّ عَنها السَّـهمُ حَنَّت كَأَنَّهـا
مُـرَزَّأَةٌ عَجْلَـى تُـرِنُّ وَتُعـوِلُ

١٤ - وَأَغْـدُو خَمِيصَ الـبَطْنِ لا يستفزُّني
إِلـى الـزَّادِ حـرصٌ أو فـؤادٌ مُوَكَّـلُ

١٥ - وَلَسـتُ بِمِهيـافٍ يُعَشِّـي سَـوامَهُ
مُجَدَّعَـةً سُـقبانُها وَهـيَ بُهَّـلُ

١٦ - وَلا جُبَّـإٍ أَكهـى مُـرِبٍّ بِعِرسِـهِ
يُطالِعُهـا في شَـأنِهِ كَيـفَ يَفعَـلُ

١٧ - وَلا خَـرِقٍ هَيـقٍ كَـأَنَّ فُـؤادَهُ
يَظَـلُّ بِـهِ الـمُكَّاءُ يَعلـو وَيَسـفُلُ

١٨ - ولا خَالِـفٍ دارِيَّـةٍ مُتَغَـزِّلٍ
يَـرُوحُ وَيغْـدُو داهنًـا يتكحَّـلُ

١٩ - وَلَسْتُ بِعَـلٍّ شَـرُّهُ دُونَ خَيْـرِهِ
أَلَـفَّ إذا مـا رُعْتَـهُ اهْتَـاجَ أَعْـزَلُ

٢٠- وَلَسْـتُ بِمِحْيَـارِ الظَّـلَامِ إذا انْتَحَـتْ
هُـدَى الهَوْجَـلِ العِسِّـيفِ يَهْمَـاءُ هوجَـلُ

٢١- إذا الأَمْعَـزُ الصَّـوَّانُ لاقَـى مَنَاسِـمِي
تَطَايَـرَ منـه قَـادِحٌ وَمُفَلَّـلُ

٢٢- أُدِيـمُ مِطَـالَ الجُـوعِ حتّـى أُمِيتَـهُ
وأضْـرِبُ عَنْـهُ الـذِّكْرَ صَـفْحًا فأُذْهَـلُ

٢٣- وَأَسْتَـفُّ تُـرْبَ الأرْضِ كَـيْلا يُـرَى لَـهُ
عَلَـيَّ مِـنَ الطَّـوْلِ امْـرُؤٌ مُتَطَـوِّلُ

٢٤- ولـولا اجْتِنَـابُ الـذَّأمِ لـم يُلْـفَ مَشْـرَبٌ
يُعَـاشُ بـه إلاّ لَـدَيَّ وَمَأْكَـلُ

٢٥- وَلكِـنَّ نَفْسًـا مُـرَّةً لا تُقِيـمُ بـي
علـى الـذامِ إلاّ رَيْثَمـا أَتَحَـوَّلُ

٢٦- وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ
خُيُوطَـةُ مـارِيٍّ تُغَـارُ وتُفْتَـلُ

٢٧- وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا
أَزَلُّ تَهَـادَاهُ التنائِـفُ أطْحَـلُ

٢٨- غَـدَا طَاوِيًـا يُعَـارِضُ الرِّيـحَ هَافِيًـا
يَخُـوتُ بأَذْنَـابِ الشِّـعَابِ ويُعْسِـلُ

٢٩- فَلَما لَـوَاهُ القُـوتُ مِـنْ حَيْـثُ أَمَّـهُ
دَعَـا فَأَجَابَتْـهُ نَظَائِـرُ نُحَّـلُ

٣٠- مُهَلَّلَـةٌ شِيبُ الوُجُـوهِ كأنَّـها
قِـدَاحٌ بأيـدي ياسِـرٍ تَتَقَلْقَـلُ
٣١- أوِ الخَشْـرَمُ المَبْعُـوثُ حَثْحَثَ دَبْـرَهُ
مَحَابِيـضُ أرْدَاهُـنَّ سَـامٍ مُعَسِّـلُ
٣٢- مُهَرَّتَـةٌ فُـوهٌ كَـأَنَّ شُدُوقَـها
شُـقُوقُ العِصِـيِّ كَالِحَـاتٌ وَبُسَّـلُ
٣٣- فَضَـجَّ وَضَجَّـتْ بالبَـرَاحِ كأنَّـها
وإيّاهُ نُـوحٌ فَـوْقَ عَلْيَـاءَ ثُكَّـلُ
٣٤- وأغْضَى وأغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ بـه
مَرَامِيـلُ عَـزَّاها وعَزَّتْـهُ مُرْمِـلُ
٣٥- شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ
وَلَلصَّـبْرُ إنْ لَـمْ يَنْفَـعِ الشَّـكْوُ أجْمَـلُ
٣٦- وَفَـاءَ وَفَـاءَتْ بَـادِياتٍ وَكُلُّـها
علـى نَكَـظٍ مِمَّـا يُكَاتِـمُ مُجْمِـلُ
٣٧- وَتَشْـرَبُ أسْآرِي القَطَـا الكُـدْرُ بَعْدَما
سَـرَتْ قَرَبًـا أحْنَاؤهـا تَتَصَلْصَـلُ
٣٨- هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وأسْدَلَتْ
وشَمَّـرَ مِنِّـي فَـارِطٌ مُتَمَهِّـلُ
٣٩- فَوَلَّيْـتُ عَنهـا وَهْـيَ تَكْبُـو لِعُقْـرِهِ
يُبَاشِـرُهُ منهـا ذُقُـونٌ وَحَوْصَـلُ

٤٠- كـأنَّ وَغَـاها حَجْرَتَيـْهِ وَحَوْلَـهُ
أضَامِيـمُ مِـنْ سُفْـلى القَبَائِـلِ نُـزَّلُ
٤١- تَوافَيْـنَ مِـنْ شَتَّـى إِلَيـْهِ فَضمَّـهَا
كمـا ضَـمَّ أَذْوادَ الأَصارِيـمِ مَنْهَـلُ
٤٢- فَعَـبَّت غِشَاشًـا ثُـمَّ مَـرَّتْ كأنَّـها
مَـعَ الصُّبْحِ رَكْـبٌ مِـنْ أُحَاظَـةَ مُجْفِـلُ
٤٣- وآلَـفُ وَجْـهَ الأَرْضِ عِنْـدَ افْتراشِـها
بأَهْـدَأَ تُنْبِيـهِ سَنَاسِـنُ قُحَّـلُ
٤٤- وَأعْـدِلُ مَنْحُوضًـا كـأَنَّ فُصُوصَـهُ
كعَـابٌ دَحَاهَـا لاعِـبٌ فَهْـيَ مُثَّـلُ
٤٥- فـإنْ تَبْتَئِـسْ بالشَّنْفَـرَى أُمُّ قَسْطَـلٍ
لَمَـا اغْتَبَطَـتْ بالشَّنْفَرَى قَبْـلُ أطْـوَلُ
٤٦- طَرِيـدُ جِنَايَـاتٍ تَيَاسَـرْنَ لَحْمَـهُ
عَقِيرَتُـهُ لِأَيِّـها حُـمَّ أَوَّلُ
٤٧- تَنَـامُ إذا مَـا نَـامَ يَقْظَـى عُيُونُـها
حِثَاثًـا إلـى مَكْرُوهِـهِ تَتَغَلْغَـلُ
٤٨- وإلْـفُ هُمُـومٍ مـا تَـزَالُ تَعُـودُهُ
عِيَـادًا كَحُمَّـى الرِّبْـعِ، أو هِـيَ أثْقَـلُ
٤٩- إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُـها ثـمّ إنَّـها
تَثُـوبُ فَتَـأْتي مِـنْ تُحَيْـتُ ومِـنْ عَـلُ

٤٠- كـأَنَّ وَغَـاها حَجْرَتَيـْهِ وَحَوْلَـهُ
أَضَامِيـمُ مِـنْ سُفْـلى القَبَائِـلِ نُـزَّلُ

٤١- تَوَافَيْـنَ مِـنْ شَتَّـى إِلَيـْهِ فَضَمَّـهَا
كمـا ضَـمَّ أَذْوادَ الأَصَارِيـمِ مَنْهَـلُ

٤٢- فَعَبَّتْ غِشَاشًـا ثُـمَّ مَـرَّتْ كأنَّـها
مَـعَ الصُّبْحِ رَكْـبٌ مِـنْ أُحَاظَـةَ مُجْفِلُ

٤٣- وآلَـفُ وَجْـهَ الأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِـها
بِأَهْـدَأَ تُنْبِيـهِ سَنَاسِـنُ قُحَّـلُ

٤٤- وَأَعْـدِلُ مَنْحُوضًـا كـأَنَّ فُصُوصَـهُ
كِعَـابٌ دَحَاهَـا لاعِـبٌ فَهْـيَ مُثَّـلُ

٤٥- فـإنْ تَبْتَئِـسْ بالشَّنْفَـرَى أُمُّ قَسْطَـلٍ
لَمَـا اغْتَبَطَـتْ بالشَّـنْفَرَى قَبْـلُ أَطْـوَلُ

٤٦- طَرِيـدُ جِنَايَـاتٍ تَيَاسَـرْنَ لَحْمَـهُ
عَقِيرَتُـــهُ لِأَيِّـــها حُـــمَّ أَوَّلُ

٤٧- تَنَـامُ إذا مَـا نَـامَ يَقْظَـى عُيُونُـها
حِثَاثًـا إِلَـى مَكْرُوهِـهِ تَتَغَلْغَـلُ

٤٨- وإِلْـفُ هُمُـومٍ مـا تَـزَالُ تَعُودُهُ
عِيَـادًا كَحُمَّـى الرِّبْـعِ، أو هِـيَ أَثْقَـلُ

٤٩- إذا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُـها ثـمّ إنّـها
تَثُـوبُ فَتَـأتي مِـنْ تُحَيْـتُ ومِـنْ عَـلُ

٥٠- فإمّا تريني كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيًا
على رِقَّةٍ أحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ

٥١- فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ
على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ

٥٢- وأُعْدِمُ أَحْيَانًا وأَغْنَى وإنَّما
يَنَالُ الغِنَى ذو البُعْدَةِ المُتَبَذِّلُ

٥٣- فلا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ
ولا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أَتَخَيَّلُ

٥٤- ولا تَزْدَهِي الأجْهالُ حِلْمِي ولا أُرَى
سَؤُولًا بأعْقَابِ الأقَاوِيلِ أُنْمِلُ

٥٥- وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلي القَوْسَ رَبُّها
وَأقْطُعَهُ اللّاتي بِهَا يَتَنَبَّلُ

٥٦- دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي
سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفْكَلُ

٥٧- فأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وأيْتَمْتُ إلْدَةً(١)
وَعُدْتُ كما أَبْدَأْتُ واللَّيْلُ أَلْيَلُ

(١) أكثر الروايات على هذا، وفي المنتخب "وِلدة".

٥٨- وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالسًا

فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ

٥٩- فقالوا: لقد هَرَّت بليلٍ كلابُنا

فقلنا: أذئبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُلُ

٦٠- فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ

فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ

٦١- فَإِنْ تَكُ مِنْ جِنٍّ لأَبْرَحُ طارِقًا

وإنْ يَكُ إنْسًا ما كَها الإنسُ تَفْعَلُ

٦٢- وَيومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ

أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ

٦٣- نَصَبْتُ له وَجْهي ولا كِنَّ دُونَهُ

ولا سِتْرَ إلاَّ الأتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ

٦٤- وَضَافٍ إذا طَارَتْ له الرِّيحُ طَيَّرَتْ

لبائِدَ عن أعْطَافِهِ ما تُرَجَّلُ

٦٥- بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ

له عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغُسْلِ مُحْوِلُ

٦٦- وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ

بِعَامِلَتَيْنِ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ

٦٧- فألْحَقْـتُ أُوْلاهُ بأُخْـرَاهُ مُوفِيًـا
عَلَـى قُنَّـةٍ أُقْعِـي مِـرَارًا وَأمْثُـلُ

٦٨- تَـرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْـمُ حَـوْلي كأَنَّـها
عَـذَارَى عَلَيْهِـنَّ الـمُلاءُ المُذَيَّـلُ

٦٩- ويَرْكُـدْنَ بالآصَـالِ حَـوْلِي كأنَّنـي
مِـنَ العُصْـمِ أَدْفَـى يَنْتَحي الكِيـحَ أعْقَـلُ

الفهرست

بين يدي اللامية ٥

ترجمة الشنفرى ٦

شـرح الأبيـات ١٣

الخاتمة ١٤٥

اللامية بتمامها ١٤٧

الفهرست ١٥٥